ثقافات الشعوب



الأميرة الصامتة

حكايات شعبية من تركيا

جمع: د. إجناز كانوز
ترجمة: د. عبد الوهاب المقالح

الأميرة الصامتة

حكايات شعبية من تركيا

جمع:
د. إجناز كانوز

ترجمة:
د. عبد الوهاب المقالح





الأميرة الصامتة

حكايات شعبية من تركيا

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

الأميرة الصامتة: حكايات شعبية من تركيا

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.K92.FO12 2009
Kunos, Ignacz. 1862 - 1945.
[Fourty - Four Turkish Fairy Tales]

الأميرة الصامتة: حكايات شعبية من تركيا/ جمع إجناز كانوز؛
ترجمة عبد الوهاب المقالح. - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
236ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-321-1
ترجمة كتاب: Fourty - Four Turkish Fairy Tales
1 - الحكايات التركية. 2 - القصص الشعبية التركية. أ- مقالح، عبد الوهاب.
ب- Pogany. Willy

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان



كلمة
KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتـي هـذه السلسلة التـي تجمع تـراث الشعوب مـن الحكايات والأساطـير والخرافـات الشعبية، منسجمة مع الأهـداف والقيم التي اختطتهـا لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العـالم العربـي. تلـك القيـم والأهداف التـي تسعـى أبوظبي إلى تجسيدهـا، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبنـاء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعـراق والجنسيات والثقافـات، وجمعها تحت سقـف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

في عصر التكنولوجيا والعقلانية والنفعية، قد تبدو حكايات كهذه وكأنها أصداء من عصور الجهل والخرافة والأحلام، وتعبير خيالي هروبي تعويضي عن العجز في مواجهة الظلم والقهر والطغيان. لكن أليست حكايات الجن والسحر والعفاريت والشياطين والملائكة والحيوانات والطيور... الخ جزءاً من تراث الإنسان الفكري والديني والواقعي الذي تشترك فيه كل الشعوب دون استثناء؟ أليس الخيال والتجريد والرمز والأسطورة جزءاً لا يتجزأ من طبيعة العقل البشري؟ أليست الانجازات المادية والعلمية والتكنولوجية سوى تحققات لأفكار خيالية؟

قد يظن بعضهم - وفي ذلك جزء من الحقيقة- أن مثل هذه الحكايات هي مما يلائم الأطفال. وقد لاحظت أنا -شخصياً- صحة ذلك حين بدأت في ترجمة هذه الحكايات وشرعت أحكيها قبل النوم لابنتي ذات الست سنوات من العمر بدلاً من تلك الحكايات التي كنت أقرأها لها من كتب ومجلات الأطفال.

لقد أظهرت ابنتي اهتماماً غير متوقع بهذه الحكايات، وراحت تلح عليَّ دون ملل «احك لي حكاية الأميرة الصامتة»، «احك لي حكاية جمال الورد»، «احك لي هذه، احك لي تلك». ثم إنها لم تعد تكتفي بحكاية واحدة كل ليلة كوسيلة لاستدعاء النوم، بل وجدت أن الحكايات قد صارت وسيلة لطرد النوم، مما جعلني أضطر إلى التظاهر بالنوم وأنا أحكي لها الحكايات كي أساعدها عليه. ولم يقتصر الأمر على هذا، لقد دهشت أن عرفت أنها راحت تحكي الحكايات لأخوتها وأخواتها بلغةٍ وانفعال وأسلوب مثير وغير متوقع.

صحيح أن هذه يمكن أن تعتبر حالةً خاصة مرتبطة بشروطٍ محددة ولا يمكن أن يقاس عليها، لكني لاحظت أن تلك الحكايات بما تتميز به من خيال وشاعرية ودرامية لابد من أن تمد قارئها بشيءٍ مما قد يشبع رغبةً أو هوى ما لديه، خصوصا أنها في مجملها تمجِّد الشجاعة والإقدام، وتحث على الصبر والمثابرة من أجل تحقيق الغايات، وتعلي من شأن قيم الصدق والوفاء والإخلاص، كما تحط من قيم الغدر والطمع والقسوة، كل ذلك وغيره يقدَّم بلغة جميلة وفي قالب درامي شيق. ولعلها بذلك توفر للطفل زاداً تربويّاً غنياً إذا ما أحسن تقديمه بالطريقة الملائمة.

ورد في مقدمة الكتاب الأصلي أن هذه الحكايات مستقلة عن الحكايات الأوربية والشرقية وحتى عن حكايات الليالي العربية، في بيئتها ومضمونها. غير أن هذه مسألة يمكن أن تخضع للبحث الأكاديمي.

الأمر اللافت هو ما أشار إليه جامع الحكايات ومترجمها إلى الإنجليزية بقوله: «إن الحكايات الخرافية التركية ليست كحكايات ألف ليلة وليلة، بل هي حكايات ألف نهار ونهار». ونحن لا ندري على وجه الدقة -إن صح هذا- هل يعود الأمر إلى أن هذه الحكايات تنتهي دوماً نهايات سعيدة، أم يعود إلى أن حكايات ألف ليلة وليلة كانت تحكى في الليل فحسب؟

ليس بالإمكان التحديد الدقيق للفترة التاريخية لهذه الحكايات، مثلها مثل حكايات الشعوب التي تتناقلها الأجيال شفاهاً فتخضع للإضافات والحذف والتغيير، قبل أن تجمع وتدوّن في كتب، ثم يأتي بعد ذلك دور الترجمة إلى اللغات الأخرى. كل ذلك يجعل من الصعب التحكم بأسلوب الحكايات الأصلي.

وقد اضطررت وأنا أشتغل بترجمة هذه الحكايات أن أعيد قراءة بعض حكايات ألف ليلة وليلة لعلي أستشف شيئاً عن روح الحكايات وأسلوبها. وما استوقفني بهذا الخصوص هو أن

بعض ما تتسم به لغة ألف ليلة هو غلبة السجع وتضمين الأبيات الشعرية، وهو ما ليس متوافراً في هذه الحكايات. وقد بدا لي أنه من الممكن ترجمة الحكايات على هذا النحو، أعني تضمين السجع على أمل أن يعطي هذا الأسلوب القارئ شيئاً ما عن نكهة وتأريخ الحكايات. لكني صرفت النظر عن هذا إذ وجدت أن ذلك سيكون مدعاةً للتكلف، وجعل الترجمة تبدو غير طبيعية، ولا تنقل بالضرورة أسلوب الحكايات الأصلي الذي لا ندري طبيعته على الوجه الصحيح. فضلاً عن أن ذلك قد يتطلب وقتاً أطول دونما ضرورة. فآثرت ترجمتها بالعربية المعاصرة للقارئ العربي المعاصر.

عبد الوهاب المقالح

تمهيد

انتقيتُ حكايات هذه المجموعة ونقحتها بيدي من حديقة التراث الشعبي التركي متعددة الألوان. لم تجمع من الكتب لأن تركيا ليست أرضاً أدبية[1]، ولا توجد فيها كتبٌ من هذا النوع. لكن، بصفتي مستمعاً جيداً لـ«رواة الحكايات» الذين يشكلون صورةً متميزة لحياة العثمانيين الاجتماعية، فقد قمت بتدوين هذه الحكايات من حينٍ لآخر، وها أنذا الآن أقدِّم منها باقةً مختارة للقارئ الإنجليزي. هذه الحكايات هي مما يمكن سماعه يوميّاً في ضواحي (إسطنبول) وفي المنازل المتداعية في حواري القسطنطينية التركية حيث تتحلق النساء حول المواقد ليحكين الحكايات لأطفالهن وصديقاتهن.

لا تطابق هذه الحكايات ولا حتى تشابه تلك الحكايات التي تمثَّلها الوعي الأوروبي من المصادر الهندية أو من حكايات

(1) هكذا هي في الأصل، غير أني رجعت إلى زميلي د. فاروق بوزقوز رئيس قسم اللغة التركية في كلية اللغات بجامعة صنعاء، فأنكر هذه العبارة ولم يقبلها إذ إن تركيا تملك تراثاً أدبياً عظيماً، وقد رجح أن جامع الحكايات ومترجمها هو من منطقة القوقاز فذكر ذلك بقصد أو بدون قصد (م).

ألف ليلة وليلة. فكل الحكايات التركية الحقيقية مستقلة عن تلك الحكايات بل إنها تختلف في مضمونها وبنيتها عن النمط الأوروبي. يمكن - حقاً - وضعها ضمن الحكايات الشرقية لجهة اتصالها بالعقيدة وشخصياتها من المسلمين. فالقفطان يغطي أجسامهم والعمائم على رؤوسهم والخفاف في أقدامهم، وكل ذلك يظهر أصلهم الشرقي. ثم إن مآثرهم البطولية وجهادهم وانتصاراتهم هي غالباً من ذلك الصنف الموجود في تراث أي شعب أوروبي. ومن الطبيعي أن الخرافة الوثنية، التي تلازم الجهل، بارزة في هذه الحكايات. ومثل كل الحكايات الفلكلورية الحقيقية، هذه الحكايات ليست خاصة بالأطفال مع أن هؤلاء هم الأكثر انجذاباً إليها، ويأتي بعدهم في الدرجة الثانية النساء. إن هذه الحكايات هي في الغالب من نسيج الخيال في مناخها البهيج السار، أرض الرقة والجمال، حيث يحدث كل شيء بديع مدهش، والشخصية الدرامية فيها هي - كقاعدة عامة - كائنات خارقة.

تنتمي الحكايات التركية كلها - تقريباً - إلى حكايات الجن. إذ تدور تلك المشاهد الرائعة في تلك البلاد الخيالية بعلاقات ملوكها وشاهاتها المتعددة مع حكام عالم الجن.

فالملوك وأولادهم، والسلاطين وبناتهم إما أن أطفالهم هم وحيدو أبويهم، أو أنهم يكونون بين الثلاثة إلى السبعة أخوة وأخـوات الذين ارتبطت حياتهم بالأحداث المعجزة من الميلاد وما تلاه. أقدارهم يتحكم بها كل أصناف الدراويش الأقوياء أو المخلوقات الخرافية الساحرة. هذه المخلوقات التي يتراوح عددها من ثلاثة إلى سبعة وقد تصل إلى أربعين، هي سندهم طوال حياتهم، في حين أن العفاريت هم العقبات التي تحول دون سعادتهم. وإلى جانب العفاريت، هناك التنانين ذات الرؤوس الثلاثة أو السبعة أو أكثر، التي يجب مواجهتها، وكذا المخلوقات الخيِّرة في هيئة الحمام التي تهب للنجدة في الوقت المطلوب. وكل صنف من هذه المخلوقات له مجاله المنفصل الزاخر بالتعاويذ والأسحار. وللحصول عليها لاحقاً وإشراك العفاريت في مساعدتهم، ينطلق أمراء الحكايات في رحلات طويلة مرهقة تعينهم خلالها الأرواح الخيِّرة في الوقت الذي تهاجمهم فيه الأرواح الشريرة. وهذه الأرواح تظهر أحياناً في هيئة حيوانات، وتظهر غيرها في هيئة زهور وأشجار أو عناصر من عناصر الطبيعة، كالرياح والنار، فتكافئ الخيِّر وتعاقب الشرير.

بلاد الجن عند الأتـراك يُتَوصَّل إليها من طريق ذي ثلاث شعب، وفي معظم الحالات لا تُبْلَغ إلا على ظهر «بيجاسوس»(1) أو بمساعدة مخلوقات خرافية أخرى. وعلى المرء إما أن يصعد إلى السماء السابعة فوق الأرض بمساعدة طائر العنقاء أو أن يهبط إلى الأرض السابعة بمساعدة عفريت. العدد الوافر من السرايات والقصور هي تحت تصرُّف أبطال الحكايات، وآلاف الطيور ذوات الريش الرائع البهيج تصدح بأغانيها البديعة، وفي حدائق الزهور تتنوع المشاهد الزاهية الساحرة الألوان.

الحكايات التركية هي أشبه بالكريستال تعكس أشعة الشمس بألوان باهرة، صافية كسماء بلا غيوم، وشفافة كقطرات الندى على ورود متفتحة. باختصار، هي ليست كحكايات ألف ليلة وليلة، بل هي حكايات ألف نهار ونهار.

إ. ك

---

(1) Pegasus: سمك مجنّح خيالي (م).

الخلق

أكمل الله، الرحمن الرحيم، في عرشه في السماء السابعة عمل الخلق. للسماء سبعة مستويات وللأرض كذلك سبعة وهي مأوى الأرواح الشريرة. تقيم الأرواح الخيِّرة في الطبقات السماوية، وتقيم في الظلمة الأرضية الأرواح الشريرة. نور السماء في صراع دائم مع ظلمة الأرض. والأرواح الخيِّرة في صراعٍ مع الأرواح الشريرة. تسمو الأرواح الخيِّرة وتحلِّق في السماء، أمَا تلك الشريرة فتغرق في الظلمة في باطن الأرض. تسد الجبال الطريق إلى السماء، فلا تصل إلى المدى الفضي سوى الأرواح الخيِّرة، ومنه تفتح الطريق إلى «تلال وجبال الذهب». الأرواح الشريرة يعميها نور السماء البرّاق الذي يستعصي على الوصف. مقامها أعماق الأرض، والمدخل الذي يفضي إلى منبع المياه. وهناك تقيم الأغنام البيضاء والسوداء التي تتوغل إلى صوفها الأرواح الشريرة فتنقلها إلى مستقرها السابع. وعلى الأغنام السوداء ترجع إلى سطح الأرض. «الباريات» أي الأرواح الخيِّرة أو الجن الطيب وكذا «الدُّوز» أي

الأرواح الشريرة أو العفاريت تتمتع كلها بالقوة البالغة، وكلاهما كان شاهداً على خلق ساكن الأرض الأصلي، الإنسان الأول.

خلق الله الإنسان الأول، وخصص له الأرض سكناً له. ولما ظهر المخلوق الفاني الأول على الأرض، سرَّت «الباريات» من عمل الله البديع، وأبصره الشيطان فطغى الحسد على روحه. وعلى الفور دبَّر خطَّةً ليمحق بها العمل الخيِّر. فبذر بذرة الخطيئة المميتة في هذا المخلوق الكريم عند الله؛ وسرعان ما نفذت إلى جسد الإنسان الأول – من دون أن يخالطه أدنى شك – نفثة الشر الأولى اللعينة التي أصابته في منطقة البطن. لكن الله، الرحيم القادر على كل شيء سارع إلى تمزيق الجسد الملوَّث وقذف به إلى الأرض. وهكذا خلقت سرَّة الإنسان. حصلت قطعة الجسد الملوثة بنفثة الشر الأولى على حياة جديدة من التراب، وفي الوقت ذاته – تقريباً – خلق الكلب – نصفه من الجسد الإنساني والنصف الآخر من نفثة الشيطان.

ولهذا السبب فما من مؤمن بالإسلام سيؤذي كلباً مع أنه لا يسمح له بالدخول إلى منزله. وفاء هذا الحيوان هو إرثه الإنساني، ووحشيته وتوحُّشه هما من الشر الأول. والكلب في الشرق لا يتكاثر، لأنه في الوقت الذي يكون فيه المسلم حاميه، فهو أيضا عدوّه اللدود.

الأخ والأخت

في سالف العصر والأوان، عاش سلطان شيخ مع ابنه وابنته. ولما وافته المنية خلفه ابنه على العرش، ولم ينقض وقتٌ طويل حتى بدَّد الوريث الشاب كل تركة أبيه التي أورثه إياها. وذات يومٍ قال لأخته: «عزيزتي، لقد بددنا كل ما ورثناه. ولو عرف الناس أننا لم نعد نملك مالاً فإن علينا أن نغادر موطننا لأننا لن نقدر على النظر في وجه أي أحد. من الخير لنا أن نرحل الآن في صمت قبل فوات الأوان».

وهكذا جمعا معاً حاجياتهما وغـادرا القصر في جنح الظلام.

ارتحلا دون أن يدريا لهما وجهة محددة حتى وصلا سهلاً عظيماً لا حدود له ولا أبعاد. وبعد أن أدركهما التعب والحر ولما أوشكا أن يستسلما للإعياء لمحا بركةً، فقال الأخ: «يا أختاه، ما عدت قادراً على أن أخطو خطوة أخرى من دون أن أروي عطشي».

ردَّت الأخت: «لكن من يدري، يا أخي إن كان ما في البركة ماء أم لا؟ وما دمنا قد احتملنا الكثير، فإننا نستطيع أن نصمد قليلاً، فقد نعثر على الماء».

غير أن الأخ اعترض قائلاً: «لا، لن أمضي أبعد من هذا، لابدّ من أن أشرب إن أردتُ البقاء حيّاً».

فاغترفت الأخت جرعةً شربها الأخ بنهمٍ، وما إن فعل حتى تحوَّل إلى أيِّل.

ندبته الأخت بحرقة. ماذا عساها تفعل الآن؟ فما حدث قد حدث، ولا مناص من مواصلة الرحلة. ظلاّ يجوبان السهل حتى وصلا إلى نبع غزير بجوار شجرة باسقة، فقررا أن يستريحا هناك. قال الأخ مخاطباً أخته: «تسلقي الشجرة، يا أختاه؛ وسأذهب للبحث عن الطعام».

تسلقت الأخت الشجرة وراح الأيل يجوب المنطقة المجاورة بحثاً عن الطعام. وسرعان ما أمسك بأرنب بريّ أعدَّته الأخت لوجبتهما. وهكذا عاش الأخوان يوماً بعد يوم لعدة أسابيع.

ثم صادف أن جياد السلطان كانت تُسقى من ذلك النبع الذي بجوار الشجرة. وقد أحضرها العبيد في المساء، ولما كانوا

يسقونها في حوض، أبصرت الخيول صورة الفتاة على صفحة المياه الصافية فأجفلت. فظنَّ العبيد أن الماء غير نظيف، فأفرغوا الحوض وأعــادوا مـلأه. لكن الخيول ظلت تجفل رافضة أن تشرب، فأخبر العبيد السلطان بهذه الحادثة الغريبة التي لم يجدوا لها تفسيراً.

فقال السلطان: «لعل الماء آسنة». فردّ العبيد: «لا، لا، لأننا أفرغنا الحوض وأعدنا ملأه بماءٍ نظيف».

فقال: «عودوا وانظروا، لابدّ من أن شيئاً ما في الجوار قد أفزع الجياد».

عاد العبيد إلى النبع واقتربوا من الماء فلمحوا الفتاة على الشجرة. عادوا من فورهم إلى سيدهم بأخبار اكتشافهم. استثير الملك إلى حد بعيد فأسرع إلى المكان، ونظر إلى الشجرة فأبصر الفتاة الجميلة التي تشبه البدر في كمال بهائه، وما كان له أن يحلم بأجمل مما رآه.

صاح الملك مخاطباً الفتاة: «أأنت ملاكٌ أم جنِّية؟» فردَّت الفتاة: «لست ملاكاً ولا جنيَّة، بل أنا إنسية».

وعبثاً توسل إليها الملك أن تنزل، إذ لم تجد الشجاعة الكافية لتفعل، فاستشاط الملك غضباً وأمر أن تُقطع الشجرة. أخذ العبيد المناشير وجعلوا ينشرون الشجرة حتى أوشكت أن تسقط عند حلول الظلام الذي اضطر العبيد أن يتوقفوا عن إكمال مهمتهم. وما كادوا يغادرون حتى أقبل الأيِّل من الغابة، فأبصر حال الشجرة وسأل أخته عمَّا حدث. ولما أخبرته بالخبر، قال: «حسناً فعلتِ. لا تنزلي من الشجرة تحت أي ظرف».

ثم اقترب الأيِّل من الشجرة ولعقها بلسانه. ويا للعجب! لقد صار جذع الشجرة أغلظ مما كان.

وفي صباح اليوم التالي ذهب الأيِّل إلى الغابة كعادته، ولما عاد رجال السلطان، كانت دهشتهم عظيمة حين رأوا أن الشجرة لم تكن سليمة فحسب بل صارت أيضاً أضخم من ذي قبل. ومع ذلك فقد استأنفوا عملهم. ولما أنجزوا نصف مهمتهم حلَّ الظلام فتوقفوا عن نشر الشجرة. ولكيلا نطيل، فما إن عاد الرجال إلى بيوتهم حتى قدِم الأيِّل ولعق جذع الشجرة وكانت النتيجة هي ذاتها التي حدثت من قبل باستثناء أن جذع الشجرة صار أغلظ بكثير. ولم يكد الأيِّل في صباح اليوم التالي ينطلق ذاهباً إلى الغابة حتى أقبل السلطان وحطابوه

وأبصروا الشجرة أقوى وأضخم وأغلظ جذعاً من ذي قبل، فقرر السلطان أن يبحث عن وسيلةٍ أخرى ليحقق غايته. ذهب إلى ساحرة عجوز وأخبرها بالحكاية ووعدها بمكافأة عظيمة إن هي أغرت الفتاة بالنزول من الشجرة.

هبّت الساحرة لتنفيذ المهمة حاملةً معها إلى النبع مِرْجلاً ذا ثلاث قوائم، وأشياء أخرى. نصبت المرجل على الأرض ووضعت عليه الإبريق مقلوباً. ثم راحت تغرف الماء من النبع متظاهرةً بالعمى، وأخذت تصب الماء في الإبريق فسقط خارجه. ولما رأت الفتاة ما تفعله المرأة العجوز مصدقة أنها عمياء حقاً، خاطبتها من أعلى الشجرة قائلة: «يا أمّاه، لقد وضعت الإبريق بالمقلوب والماء يسقط إلى الأرض».

قالت العجوز: «أوه، يا عزيزتي. أين أنتِ؟ فأنا لا أستطيع رؤيتك. لقد جلبت معي ملابس قذرة لأغسلها. أسألك بالله، تعالي وضعي الإبريق بشكلٍ صحيح حتى أستطيع غسل ملابسي».

لكن الفتاة لحسن الحظ تذكرت تحذير الأيِّل.

وفي اليوم التالي، جاءت العجوز ثانية تتعثر متلمسة طريقها تحت الشجرة، أشعلت ناراً وأخرجت طعاماً لتطبخه. وبدلاً من أن تضع الطحين في المنخل، راحت تضع رماداً. فخاطبتها الفتاة من أعلى الشجرة: «أيتها العمياء المسكينة، إنك تضعين رماداً في المنخل بدلاً من الطحين». قالت العجوز بنكدٍ واضح: «أنا عمياء، يا عزيزتي، ولا أستطيع أن أرى. انزلي وساعديني».

وثانيةً، أخفقت حيلتها إذ لم تفلح في إغراء الفتاة بعدم الالتفات إلى تحذير أخيها.

وفي اليوم الثالث جاءت الساحرة إلى الشجرة، وجلبت معها هذه المرة حَمَلاً لتذبحه. لكنها تناولت السكين وجعلت تضغط مقبضها على رقبة الحَمَل بدلاً من شفرتها. فنسيت الفتاة كل شيء وقد سيطر عليها الإشفاق على المخلوق البائس بعد ما رأته من تعذيب الساحرة له، فنزلت لتخلصه من محنته. لكنها سرعان ما ندمت على اندفاعها وتهوّرها لأنها ما إن وضعت قدميها على الأرض حتى قفز السلطان الذي كان مختبئاً خلف الشجرة وحملها إلى قصره.

أراد السلطان الزواج منها في الحال، لكنها رفضت أن توافق حتى يأتوا لها بأخيها الأيِّل. فأُرسِل العبيدُ للعثور على

الأيّل وسرعان ما جاءوا به إلى القصر. بعدها، لم ينفصل التوأمان أحدهما عن الآخر، إذ كانا ينامان معاً ويستيقظان معا ويظلان معاً. وعندما أقيمت الاحتفالات بالزواج، لم يتخلَّ الأيّل عن أخته، وفي الليل عندما كان عليهما أن يأويا إلى فراشهما، ربَّت الأيّل على أخته بخفةٍ بقائمته الأمامية قائلاً: «هذه عظام الأخ بالمصاهرة، وهذه عظام الأخت».

تنقضي أيام وتجيء أيام، ويمر زمن الحكاية سريعاً، أما زمن المحبين فهو الأسرع من كل الأزمنة. وأبطال حكايتنا عاشوا كلهم معاً في سعادةٍ وسرور، إلا امرأة عبدة سوداء في القصر استولت عليها الغيرة لأن السلطان اختار فتاة من شجرةٍ بدلاً منها. ولذا ظلت هذه المرأة تتحين الفرصة للانتقام، وقد واتتها بعد وقت قصير. كان بجوار القصر حديقة جميلة وفي وسطها بركةٌ هائلة. وقد اعتادت زوجة السلطان أن تجيء إليها لتزجية الوقت وفي يدها كأسٌ ذهبية وفي قدميها حذاء فضي. وفي أحد الأيام، وقفت على حافة البركة فبرزت لها المرأة السوداء من مخبئها وغمست رأس سيدتها في الماء فابتلعتها سمكة كبيرة وسبحت بعيداً.

عادت المرأة السوداء إلى القصر وكأنَّ شيئاً لم يحدث، وارتدت

ملابس سيدتها وحلت محلها. وعندما حل المساء جاء السلطان وسأل زوجته عمّا حدث لها وغيّر وجهها. فقالت له: «كنت أتمشى في الحديقة فأصبت بلفحة شمس».

جذبها الملك نحوه من دون أن يشك بشيء، وراح يخفّف عنها متلفّظاً بكلمات المؤاساة، إلا أن الأيّل دخل وأدرك الخدعة، ثم ربّت على الزوجين برفق بقائمته الأمامية قائلاً: «هذه عظام الأخ بالمصاهرة، وهذه عظام الأخت».

انتاب العبدة الخوف خشية أن يفضحها الأيّل، فعزمت على تدبُّر مكيدة تتخلّص بها منه.

وفي اليوم التالي ادّعت المرض، وبالمال والكلام المعسول أقنعت الأطباء أن يخبروا السلطان أن زوجته تعاني من مرض خطير، وما من علاج ناجع إلا في أن تأكل قلب أيّل إن كان ثمة أمل في شفائها. ذهب السلطان إلى زوجته المفترضة، وسألها إن كان سيحزنها ذبح أخيها الأيّل. فتنهدت وقالت: «وماذا عساني أفعل؟ ولو أنني مت أصابه الأذى. من الخير أن يذبح فلا أموت، في حين أنه سيتحرر من شكله الحيواني».

وهكذا، أصدر الملك أمره أن تشحذ السكين وأن يغلى الماء.

أدرك الأيِّل المسكين من حركة القصر ما يدبَّر له وما هو فيه من محنة. ففر إلى البركة التي في الحديقة ونادى أخته ثلاث مرات قائلاً:

«السكين تشحذ

والماء يغلي

النجدة، يا أختي، النجدة!».

ومن جوف السمكة جاءه الجواب ثلاث مرّات:

«ها أنذا في بطن السمكة،

في يدي كأسٌ ذهبية

وفي قدميّ حذاءٌ فضي،

وفي حضني أميرٌ صغير!».

كان رضيعٌ صغير قد وُلِدَ لزوجة السلطان حتى وهي راقدة في جوف السمكة.

وجاء الملك في الوقت المطلوب مع بعض أتباعه ليقبضوا على الأيّل، فسمع الحوار الذي دار في البركة. وسرعان ما سُحِبَ ماء البركة في دقائق معدودة، واصطيدت السمكة، وشُقَّت بطنها، فما الذي أبصروه! عقيلة السلطان الحقيقية كانت تستلقي هناك، في يدها كأسٌ ذهبية، وفي قدميها حذاءٌ فضيّ، وفي ذراعيها ابنها الصغير.

عاد السلطان إلى القصر وقد غشيته البهجة الطاغية، وأخذ يحكي الحكاية لزوجته.

في تلك الأثناء، كان الأيّل يلعق بالصدفة بعض دم السمكة، فاستعاد شكله الإنساني. والتحق بأخته، وكم كان مبلغ بهجتها وسعادتها وهي ترى أخاها الحبيب ثانية وقد استعاد شكله الطبيعي.

أمر السلطان الآن بأن يأتوا بالعبدة إليه، وسألها إن كانت تفضل أربعين سيفاً أم أربعين حصاناً. فأجابت: «السيوف لقطع رقاب الأعداء، ولي أربعون حصانا لأركبها». وهناك رُبِطت المرأة الشريرة إلى ذيول أربعين حصاناً، ثم أطلقت تخبُّ ممزقةً إياها إرباً إرباً.

بعد ذلك احتفل السلطان بزواجه للمرة الثانية. واختار الأمير-الأيّل لنفسه زوجةً من بين سيدات القصر، وعلى مدى أربعين يوماً وأربعين ليلة أقيمت المهرجانات والولائم على شرف الزواج الثنائي. فأكلوا وشربوا وحققوا غايتهم. فهيا بنا نأكل، ونشرب ونحقق ما نبغي تحقيقه.

الخوف

منذ زمن بعيد، عاشت امرأة مع ابنها الوحيد. وذات ليلة وهما جالسان معاً، قالت الأم لابنها: «اذهب، يا بني، وأغلق الباب لأنني أشعر بالخوف».

فسأل الابن أمه: «ما هو الخوف؟». وكان رد الأم: «عندما يكون الإنسان خائفاً».

«ما هو، إذن، هذا الشيء الذي اسمه الخوف؟».

هكذا تساءل الابن محتاراً، ثم أضاف: «سأذهب وأرى ما هو».

انطلق حتى وصل إلى جبل حيث أبصر أربعين لصّاً يجلسون حول النار. اقترب الفتى منهم وحيّاهم، فقال له أحدهم: «ما من طير تجرَّأ على الطيران هنا، وما من قافلة تمر من هنا: فكيف تجرّأت أنت على المغامرة؟».

رد الفتى: «إنني أبحث عن الخوف؛ أروني إياه». أجاب اللص: «الخوف هنا حيث نحن». فسأل الفتى: «أين هو؟».

عندئذ، أمره اللص: «خذ هذا الإبريق، وهذا الطحين والسمن والسكر، واذهب إلى تلك المقبرة التي هناك واصنع الحلوى».

أجاب الفتى: «حسناً». وذهب.

وفي المقبرة أشعل ناراً وبدأ في إعداد الحلوى. وبينما هو منشغل في العمل إذا بيدٍ خارجةٍ من القبر وصوتٍ يقول له: «ألن أحصل على شيء؟».

فضرب الفتى اليد بالملعقة قائلاً بسخرية: «طبعاً، سوف أطعم الموتى قبل الأحياء». فتوارت اليد على الفور.

وبعد أن فرغ من إعداد الحلوى رجع إلى اللصوص، فسألوه: «هل وجدت الخوف؟»، فردَّ عليهم: «لا. كلُّ ما رأيته كان يدٌ برزت من القبر طالبةً الحلوى؛ لكنني ضربتها بالملعقة فاختفت ولم أرها بعد ذلك».

اندهش اللصوص. ثم أشار عليه أحدهم بقوله: «غير بعيد من هنا يوجد مبنىً مهجور، وهناك ستجد الخوف بلا ريب».

ذهب الفتى إلى المنزل ودخل إليه فأبصر على مصطبة عالية أرجوحة وقد جلس عليها طفلٌ يبكي، وفي إحدى الغرف فتاةٌ تجري هنا وهناك. اقتربت الفتاة منه وقالت: «دعني أجلس على كتفيك. إن الطفل يبكي وأنا أريد أن أسكته».

وافق، فصعدت الفتاة. وبينما كانت منشغلة بالطفل شرعت تضغط تدريجياً على عنق الفتى بقدميها حتى أحس بخطر الاختناق. ثمَّ، وبدفعةٍ أوقعته قفزت الفتاة من كتفيه واختفت. وعندما توارت سقط سوارٌ من ذراعها إلى الأرض. التقطه الفتى وغادر المنزل. وبينما كان ماضياً في الطريق أبصر يهوديّاً السوار فبادره بالقول: «ذلك السوار سواري». فكان ردّ الفتى: «لا، إنه سواري».

«لا، إنه ملكي».

«فلنذهب، إذن، إلى القاضي. إن هو حكم به لك، فهو لك، أمّا إذا حكَم بأنه لي فهو لي».

وهكذا، ذهبا، فقال القاضي: «السوار هو سوار من يقدّم البرهان على ذلك».

فلم يستطع أيٌّ منهما أن يبرهن على ملكيته للسوار، فأمر القاضي أن يحجز السوار حتى يقدِّم أحد المتخاصمين ما يدحض دعوى الآخر بإحضار صنو السوار. فافترق الفتى واليهودي.

ولما وصل الفتى إلى الساحل شاهد سفينة تتقاذفها الأمواج، وسمع صرخات مذعورة تصدر عن السفينة، فنادى من الشاطئ: «هل رأيتم الخوف؟».

فجاءه الرد صارخاً: «أوه، يا ويلاه، إننا نغرق!».

وعلى الفور خلع ملابسه وقفز في الماء سابحاً صوب المركب. قال من على ظهر المركب:

«أحدٌ ما يدفع مركبنا هنا وهناك، إننا خائفون».

غاص الفتى إلى القاع رابطاً حبلا حول خصره. وهناك اكتشف أن ابنة البحر (دينيز كايزي) تهزُّ المركب. فراح يشدّها بقوة وأبعدها عن المركب. ثم صعد إلى السطح، وسأل: «هل هذا هو الخوف؟».

ومن دون أن ينتظر جواباً، سبح خارجاً إلى الشاطئ، ارتدى ملابسه، وذهب في طريقه.

وبينما يمشي أبصر حديقة أمامها نافورة. فقرر أن يدخل إلى الحديقة ليستريح. وكان حول النافورة ثلاث حمامات تلهو وتمرح، غطست في الماء، وعندما خرجت ثانية أخذت تهزّ نفسها وتحولت كلٌ واحدةٍ منها إلى فتاة. ثم نصبت طاولة ووضعت كؤوس الشراب. وحين رفعت الأولى كأساً إلى شفتيها، سألت الأخريان: «على صحة من تشربين؟» أجابت: «على صحة ذلك الفتى الذي لم يأبه وهو يصنع الحلوى عندما ظهرت له يدٌ امتدت من القبر».

وعندما شربت الفتاة الثانية، سألت الأخريان: «على صحةِ من تشربين؟»، أجابت: «على صحة ذلك الفتى الذي وقفتُ على كتفيه، والذي لم يبدِ أي خوف عندما كدت أخنقه».

عندئذ أخذت الفتاة الثالثة كأسها.

«على صحة من تشربين؟».

وكان الرد: «في البحر، حين كنت أهزُّ المركب يميناً وشمالاً، وإلى الأمام وإلى الخلف، جاء شابٌ وقذف بي بعيداً بكل قوته حتى كدت أموت. وعلى صحته أشرب كأسي».

وما كادت الفتاة تكمل حديثها حتى ظهر الفتى، وقال: «أنا ذلك الفتى». فأسرعت الفتيات الثلاث يعانقنه، فقال: «إن لي عند القاضي سواراً من يد واحدةٍ منكن. وقد أراد يهودي أن يحرمني منه لكني رفضت أن أتخلى عنه. وأنا الآن أبحث عن مثيله».

اصطحبته الفتيات إلى كهفٍ فيها صالات فخمة فُتِحت أمامه، فغمرته الدهشة. كانت كل صالة ملأى بالذهب والجواهر والتحف الثمينة. وهنا أعطته الفتيات السوار الثاني فذهب به على الفور إلى القاضي واستلم السوار الأول، وعاد من فوره إلى الكهف.

قالت له الفتيات: «لن ترحل عنا من الآن فصاعداً على الإطلاق».

فأجاب: «سأكون مسروراً بهذا إلى أبعد حد، لكني لن أجد الراحة حتى أعثر على الخوف».

قال ذلك ونأى بنفسه بعيداً على الرغم من توسلاتهن الملحاحة له كي يبقى.

وصل إلى بقعة مكتظة بالناس. تساءل الشاب: «ما الأمر؟» فقيل له إن سلطان البلاد قد مات.

وكانت إحدى الحمامات على وشك أن يطلق سراحها. والذي تحط على رأسه الحمامة يُنَصَّب وصيّاً على العرش. وقف الشاب وسط الحشد المتلهف. أطلقت الحمامة ودارت في الجو ثم هبطت واستقرت على رأس الفتى. فنُصِّب على الفور سلطاناً، لكنه وهو راغبٌ عن قبول المكرمة، أطلقت حمامة ثانية. واستقرت الحمامة الثانية أيضاً على رأسه. وحدث الأمر نفسه مرة ثالثه مع الحمامة الأخيرة. فصاح الناس: «أنت السلطان!» فقال رافضاً جهود الحشود لحمله إلى القصر: «ولكني أبحث عن الخوف؛ ولن أكون سلطانكم».

نقل الناس كلماته إلى أرملة السلطان المتوفى، فقالت: «دعوه يقبل هذا الشرف على الأقل - هذه الليلة فقط. وغداً سأريه الخوف».

قبل الفتى، مع أنه لم يُعط الفكرة المريعة عن أن من يكون سلطاناً يوماً واحداً يكون في اليوم الثاني جثةً هامدة.

دخل إلى القصر ووصل إلى غرفةٍ لاحظ فيها أن نعشه قد أعدَّ والماء قد غُلي. ومع ذلك، فقد استلقى في فراشه لينام، إلا أنه نهض بعد أن خرج الخدم، وأخذ النعش ووضعه أمام الجدار وأشعل فيه ناراً وحوَّله إلى رماد. وبعد أن فرغ من هذا رقد وغرق في نومٍ عميق.

ولما انبلج ضوء الصباح، دخل العبيد ليحملوا جثة السلطان الجديد بعيداً، غير أنهم سرُّوا لرؤيته في صحة تامة، فهرعوا إلى السلطانة بالأخبار السارة. فطلبت السلطانة على الفور الطباخ وأمرته: «عندما تعد وجبة العشاء الليلة، ضع طائر دوريّ حي في طبق الحساء».

حل المساء. وجلس السلطان والسلطانة لتناول العشاء وعندما أحضر طبق الحساء، قالت السلطانة: «ارفع غطاء الطبق». رد الفتى: «لا، أنا لا أرغب في الحساء».

كررت السلطانة محاولةً إقناعه: «لكن ارفع الغطاء من فضلك».

ولما مد الفتى يده ورفع الغطاء، طار العصفور دون توقع لدرجة أن الفتى شعر بهزّة خوف خفيفة. فصاحت السلطانة: «أرأيت؟ ذلك هو الخوف».

فقال الشاب: «لقد شعرت بالخوف بالفعل».

عندئذ، أعلنت حفلات الزواج ودامت أربعين يوماً وأربعين ليلة. أحضر السلطان الشاب أمه إلى القصر وعاشوا جميعاً في سعادة دائمة.

الحوريات البرتقاليات الثلاث

في الزمان البعيد، حين عمّت الوفرة كل شيء، كنا نأكل ونشرب طوال اليوم، ومع ذلك فقد كنا نأوي إلى فراشنا جياعاً. في ذلك الزمان عاش سلطانٌ وكانت أيامه خالية من السرور والبهجة إذ لم يكن له ولد.

ومما يدعو للأسى والحزن أنه انطلق مع وزيره، ولما كانا يشربان القهوة ويدخنان التبغ وصلا إلى وادٍ فسيح. جلسا ليستريحا، وفجأة ردَّد الوادي فرقعة أسواط، ثم ظهر أمامهما درويشٌ بلحيةٍ بيضاء مرتدياً ملابس خضراء وحذاء أصفر. ارتجف السلطان ورفيقه من الخوف، لكنهما، عندما اقترب الدرويش منهما، وحياهما بـ«السلام عليكم!» استعادا شجاعتهما وردَّا التحية: «وعليكم السلام!».

سأل الدرويش: «أين وجهتك، أيها السلطان!».

أجاب السلطان: «إن كنت تعلم أنني السلطان ، فلابدّ من أنك تعلم علاجاً لحزني».

أخذ الدرويش تفاحة من جعبته وقدمها للسلطان، قائلاً: «أعط نصفها للسلطانة، وكل أنت النصف الآخر،» واختفى على الفور.

عاد السلطان بعدئذٍ إلى القصر، وأعطى السلطانة نصف التفاحة وأكل النصف الآخر، ولم ينقض وقت طويل حتى ولد له في القصر ولي العهد أو «الأمير المتوج». امتلأت نفس السلطان بالبهجة. فوهب الفقراء النقود، وأطلق العبيد أحراراً، وأمر بإعداد وليمة لكل الناس.

كبر الأمير وصار في الرابعة عشرة من عمره. وذات يومٍ طلب من أبيه طلباً، قائلاً: «أبي، وسلطاني ابن لي قصراً صغيراً من الرخام وله نافورتان، من إحداهما يتدفق الزيت ومن الأخرى يتدفق العسل».

كان السلطان يحب ولده الوحيد حبّاً جمّاً، فأمر ببناء القصر مع نافورتيه حسب رغبة الصبي.

ولما جلس الصبي في قصره، وأخذ ينظر إلى النافورتين اللتين تقذفان الزيت والعسل، ظهرت عجوز وبيدها إبريق تريد أن تملأه من النافورة. التقط الأمير حجرة وقذفها على إبريق المرأة

فهشمه إلى قطع صغيرة. انسحبت المرأة من دون أن تتفوه بكلمة. وفي اليوم التالي جاءت مرة ثانية، ولما كانت على وشك أن تملأ الإبريق، قذف الأمير حجرة وهشم جرَّتها. انسحبت المرأة من دون أن تفوه بكلمة. وفي اليوم الثالث ظهرت من جديد، وللمرة الثالثة هُشِّم وعاؤها بواسطة الأمير. فقالت العجوز: «إني أدعو الله أن يبتليك بحب «الحوريات البرتقاليات الثلاث». ثم غادرت ولم يرها أحد بعد ذلك.

ومنذ تلك اللحظة بدأ الأمير يشعر كأن ناراً تحاصره وتوشك أن تلتهمه. هزُل وذوى، ولاحظ السلطان حالة ابنه، فاستدعى الأطباء والحكماء، فما استطاع أحدٌ أن يشفي علة الأمير. قال الابن لأبيه ذات يوم: «أوه، أيها السلطان، يا أبي العزيز، هؤلاء لا يستطيعون أن يفعلوا لي شيئاً، كل جهودهم ستذهب سدى. إني أُحب الحوريات البرتقاليات الثلاث، ولن أجد السلام حتى أعثر عليهن».

توجَّع السلطان قائلاً: «أوه، يا صغيري، أنت وحيدي. ولو أنك هجرتني، فلن أجد المسرة أبداً».

ولما ساءت حال الأمـير، فكر السلطان أن يسمح لابنه بالانطلاق للبحث عن مراده فلعله يعثر على تلك الحوريات الثلاث ثم يعود.

زوّد الأمير بكنز ثمين وانطلق راحلاً، يصعد جبلاً ويهبط وادياً من دون توقف. وفي سهل شاسع لا حدود له وجد نفسه فجأة وجهاً لوجه مع أم العفريت العملاقة فاشخة ساقيها فوق جبلين وواضعة قدماً على كل قمة. كانت تطحن الزبيب بفكيها، فيُسمع صوت الطحن إلى مسافة ميلين. أثار تنفسُّها العواصف، وذراعاها يصلان إلى تسع ياردات طولاً.

قال الفتى واضعاً ذراعه حول خصرها: «كيف أنتِ، يا أماه؟».

ردَّت المرأة: «لو لم تنادني يا أماه لابتلعتك». ثم سألته من أين جاء وإلى أين هو ذاهب.

تنهد الولد وقال: «أوه، يا أمي العزيزة. يا لسوء حظي. كان من الأفضل لو أنك لم تسألي وأنني لا أجيب».

فطلبت المرأة: «لكن، قل لي». تنهد ثانية وقال: «أوه، يا أمي العزيزة. لقد وقعت في حب الحوريّات البرتقاليات الثلاث. ألا تستطيعين أن تريني الطريق إليهن؟».

أمرته المرأة قائلةً: «اسكت! ممنوع أن تنطق تلك الكلمة. إنني وأولادي نحمي أنفسنا منهن، لكني لا أدري أين يسكنَّ. إن لي أربعين ولداً يصعدون ويهبطون إلى باطن الأرض لعلهم يعرفون أين».

وعندما حل المساء، التقطت المرأة الأمير، قبل أن يرجع أولادها، وربتت عليه بلطف فتحول إلى إبريق ماء.

وفي الحال ظهر أربعون عفريتاً، وصاحوا: «إننا نشم رائحة جسد إنسان، يا أماه!».

ردَّت الأم: «وماذا عسى إنسانٌ أن يجيء ليفعل هنا؟ من الأفضل أن تجلسوا لتتناولوا عشاءكم».

جلس العفاريت لتناول وجبتهم، حينها قالت الأم: «لو كان لكم أخٌ فانٍ، ماذا كنتم فاعلين به؟».

سألوا مجتمعين: «ما الذي علينا أن نفعل به؟ علينا أن نحبه كأخٍ لنا».

وعندما سمعت بهذا، خبطت أم العفاريت على إبريق الماء فظهر الأمير. قالت الأم: «ها هو ذا أخوكم!»، وقدَّمته للأربعين ابناً. رحب العفاريت بالفتى بابتهاج، ونادوه أخاً لهم وأفسحوا له مكاناً بينهم وسألوا أمهم لماذا لم تحضره قبل الوجبة. أجابت الأم: «يا أولادي، إنه لا يستطيع أن يأكل طعامكم لأنه لم يتعوَّد عليه، فالفانون يأكلون الفول، ولحم البقر، ولحم الضان وغير ذلك من أصناف الطعام».

وعلى الفور نهض أحدهم وأحضر شاةً ووضعها أمام الفتى. صاحت الأم: «يا لك من ساذج! لابدّ من أن تطبخ أولاً».

أخذ العفريت الشاة وذهب ثم عاد بها مشوية ووضعها أمام الأمير. وبعد أن أكل حتى شبع، وضع الأمير بقية الشاة جانباً ولما رأى العفاريت ما فعل، سألوه لماذا لم يأكلها كلها؟ فقالت لهم الأم إن أطفال البشر لا يأكلون كثيراً كما يفعل العفاريت.

قال أحدهم: «دعونا نر كيف هو طعم لحم الضان». وبتناولهم بضع لقيمات نفدت الشاة.

وفي صباح اليوم الثالث، قالت المرأة لأولادها: «إن أخاكم يعاني من كرب عظيم».

سألوا: «ما به؟ لعلنا نستطيع مساعدته».

قالت الأم: «إنه واقع في حب الحوريات البرتقاليات الثلاث».

قالوا: «نحن لا نعرف أين تسكن الحوريات البرتقالية الثلاث، فنحن لم نقترب أبداً من حيِّهن، لكن لعل خالتنا تعرف».

«خذوا الفتى إليها. وأبلغوها السلام وقولوا لها إن هذا هو ابني، وإنني أتمنى أن تساعده ما أمكنها».

لبىّ الأولاد أمر أمهم واصطحبوا الأمير إلى خالتهم وأخبروها بكل شيء.

كان لهذه الساحرة العجوز ستون ولداً، وهي نفسها لم تكن تدري أين تعيش الحوريات البرتقاليات الثلاث، فانتظرت حتى عاد أولادها. ولأنها لم تكن تدري كيف يستقبل أولادها الزائر، فقد مسته برفق وأحالته إلى مزهرية.

«إننا نشم رائحة جسد إنسان» هكذا صاح الأولاد وهم يهرعون إلى الغرفة.

قالت أمهم: «لابدّ من أنكم كنتم تأكلون لحم إنسان. تعالوا الآن إلى عشائكم».

جلس الأولاد إلى عشائهم متلهفين. عندئذ مست المرأة المزهرية، وعند رؤية الستين عفريتاً للمخلوق الفاني استقبلوه بفرح غامر، وأفسحوا له مكاناً بينهم ووضعوا الطعام أمامه.

قالت أم العفاريت: «يا أولادي!، هذا الصبي وقع في حب الحوريات البرتقاليات الثلاث. ألا تستطيعون أن تذهبوا به إليهن».

رد الأولاد: «بالتأكيد، لا نستطيع، لكن ربما كانت خالتنا الأخرى تعرف الطريق إليهن».

«إذن، خذوه إليها، وأبلغوها سلامي، وأخبروها أن الفتى ابني وسيكون ابنها، لابدّ من أنها تقدر على مساعدته».

اصطحب العفاريت الفتى إلى خالتهم وأخبروها بكل شيء. فأجابت: «أوه، يا أولادي، إنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً، لكن حين يعود أولادي الثمانية في المساء، سوف أسألهم».

استأذن الستون عفريتاً من الأمير طالبين المغادرة، وقبل حلول المساء، مست الأم الأمير فأحالته إلى مكنسة ووضعتها خلف الباب. وما كادت تضعها حتى وصل الثمانية العفاريت وراحوا يتساءلون عن رائحة لحم الإنسان. وأثناء تناولهم العشاء، سألتهم أمهم ماذا سيفعلون لو كان لهم أخ فانٍ. فلما أقسموا جميعاً أنهم لن يؤذوه أبداً، أخذت المكنسة وربتت عليها بخفة فظهر الأمير.

استقبله العفاريت بفرح وحفاوة، سائلين عن صحته وواضعين الطعام أمامه. بعدئذ سألتهم الأم إن كانوا يعرفون مكان الحوريات البرتقاليات الثلاث لأن أخاهم الجديد واقعٌ في حبهن. أطلق الابن الصغير صيحة الفرح وهبَّ واقفاً معلناً أنه يعرف.

قالت الأم: «إذن، خذ الفتى إلى هناك لعله يحقق بغيته».

وفي صباح اليوم التالي، انطلق الأمير والعفريت في رحلتهما. وبعد أن قطعا مسافة، قال العفريت: «يا أخي، سوف نصل عمَّا قريب إلى حديقة واسعة فيها بركة حيث تقيم فيها الحوريات الثلاث. وعندما أصيح «أغمض عينيك، افتح عينيك!» افعل ذلك، ثم أمسك أي شيء يظهر لك».

تقدما أكثر فاقتربا من الحديقة، ولما لمح العفريت منظر الحديقة صاح للأمير: «أغمض عينيك، افتح عينيك!»رأى الأمير البرتقالات الثلاث على سطح البركة الأملس، وأمسك بواحدةٍ ووضعها في جيبه. ثم صاح العفريت ثانية: «أغمض عينيك، افتح عينيك!» أطاعه الأمير وأمسك البرتقالة الثانية، وكذلك فعل في المرة الثالثة.

قال العفريت: «والآن، احذر أن تفتح البرتقالات في أيّ بقعة لا يوجد فيها ماء، وإلا فستندم على فعلتك».

وعده الأمير أن يتبّع نصيحته، وافترقا فذهب أحدهما يميناً وذهب الآخر شمالاً.

راح الأمير يصعد جبلاً ويهبط وادياً متذكراً البرتقالات، ثم أخرج واحدةً من جيبه قاصداً أن يفتحها. وما كاد يغرز سكينه في قشرة البرتقالة حتى قفزت فتاةٌ عذراء لها جمال البدر، وصاحت: «ماء! أعطني ماء!» ولما لم يكن ثمة ماءٌ في الجوار، فاختفت على الفور.

ندم الأمير ندماً عميقاً على ما أقدم عليه لكنه لم يعد قادراً على فعل شيء بشأنه.

انقضت عدة ساعات، وكان قد قطع الكثير من الأميال، ومرةً ثانية فكر بالبرتقالات. أخرج البرتقالة الثانية. قطعها وأبصر! ماذا أبصر! انبثقت فتاة هي أجمل وأرق من الأولى. هي الأخرى طلبت الماء، ولما لم تجد شيئاً، اختفت الفتاة الثانية كما اختفت الأولى.

فكَّر الأمير وقال محدثاً نفسه: «لابدّ من أن آخذ حذري في المرة الثالثة. وواصل سيره مجهداً. ولما وصل إلى نبع شرب منه وقرر أن يفتح البرتقالة الثالثة. فتحها فإذا بفتاة هي أجمل وأروع من الفتاتين السابقتين. ولما سألت هي الأخرى طالبةً الماء، قادها الأمير إلى الماء، وسقاها فبقيت معه.

كان الأمير في غاية الحماسة والشوق إلى حد أنه أدخل الفتاة إلى مدينة أبيه وهي في حالةٍ غير مناسبة. لذلك أقنعها أن تختبئ في شجرة قريبةٍ من النبع بينما يذهب هو ويحضر لها عربةً وملابس فائقة الجمال. وعندما ابتعد، قدمت عبدةٌ سوداء إلى النبع لتغرف ماءً. ولما أبصرت صورة الفتاة في الماء ظنت أنها صورتها، قالت مناجيةً نفسها: «إنني أجمل من سيدتي. فلماذا أحمل الماء من أجلها. هي من يجب أن تحمل الماء من أجلي». ثم رمت جرتها بعنف فتهشمت إلى كِسَر صغيرة. عادت إلى البيت ولما سألتها سيدتها عن الجرة، استدارت العبدة نحوها ساخرةً، وقالت: «اجلبي لي الماء أنت».

ردت سيدتها وهي تمسك بالمرآة: «هل جننت؟ انظري في المرآة».

نظرت العبدة في المرآة فرأت أنها كانت سوداء حقّاً. ومن دون أن تقول كلمةً واحدة، أخذت إناءً وذهبت إلى النبع لتملأه. وحين وصلت إلى النبع، أبصرت ثانيةً صورة الفتاة منعكسةً في الماء وحسبتها صورتها.

«إنني - مهما يكن - أجمل بكثير من سيدتي» هكذا صرخت بصوتٍ عال. وقذفت بالإناء وعادت إلى البيت. سألتها سيدتها لماذا لم تجلب الماء، فردت عليها: «أنا أجمل منك بكثير. وعليك أنت أن تجلبي لي الماء».

«أنت فتاة مجنونة»، ردَّت سيدتها وأرتها وجهها الداكن البشرة في المـرآة، فلما تبينت أنها حقاً عبدة، أخذت إناءً ثالثاً وذهبت إلى النبع للمرة الثالثة. ظهرت صورة الفتاة مرة أخرى في الماء، وأوشكت العبدة أن تقذف بوعائها لتحطمه، غير أن الفتاة خاطبتها من أعلى الشجرة قائلة: «لا تكسري وعاءكِ. إن ما تبصرينه في الماء هي صورتي لا صورتك».

نظرت العبدة إلى أعلى، فأبصرت على الشجرة ذلك الكائن البديع الجمال - الأجمل من كلِّ من رأت في حياتها من قبل - قالت لها بكلمات عذبة معسولة: «أوه، أيتها الفتاة الفاتنة، إنك

أجمل من كل الفتيات، لابدّ من أنك متعبة من الجلوس هناك لأمدٍ طويل. انزلي وأريحي رأسك المتعب في حضني».

التقطت الفتاة الطّعم، وعندما أراحت رأسها في حضن العبدة، أخذت الأخيرة دبوس شعر وغرزته في جلدها. لكنها في اللحظة التي أتمت فعلتها الإجرامية، تحوَّلت الفتاة إلى طيرٍ برتقالي اللون، وطارت تاركةً العبدة بجوار الشجرة.

وبعد وقت قصير عاد الأمير في عربةٍ فخمة مرتدياً بزَّة مطرزة بالذهب. ألقى نظرةً على الشجرة، فأبصر ملامح العبدة القبيحة، فسأل عمّا حدث. وردَّت عليه العبدة: «دعوني هنا، واذهبوا بعيداً عني. لقد أفسدت الشمس خلقتي».

ترى، ما الذي كان باستطاعة الأمير التعيس أن يفعل. وضع العذراء المفترضة في العربة وأخذها إلى قصر أبيه. كانت الحاشية السلطانية تنتظر وصول العروسة الجميلة بشوق وشغف بالغين، ولما أبصروا العبدة، فقدوا صوابهم ولم يستطيعوا أن يتخيلوا ما الذي جذب الأمير في هذه المرأة. قال يشرح الأمر: «إنها ليست عبدة. إنها فقط مكثت في الشمس لوقتٍ طويل، فلوَّحت الشمس بشرتها، وهي ستصير بيضاء في الحال». قال هذه الكلمات وقادها إلى جناحها.

كان بجوار قصر الأمير حديقة واسعة. إلى هنا طار الطائر البرتقالي ذات يوم وحطَّ على شجرة، ونادى البستاني؛ فسأل البستاني: «ماذا تريد مني؟».

قال الطائر: «كيف حال الأمير؟».

أجاب البستاني: «في خير حال».

«وكيف هي الزوجة السوداء؟»

«أوه، إنها بخير، لكنها باقية في جناحها».

ثم طار الطائر. وعاد في اليوم التالي، وأخذ يعيد أسئلة الأمس. وفعل الشيء نفسه في اليوم الثالث. وحدث أن كل شجرة حطَّ عليه الطائر، قد ذوت. وبعد وقت قصير، وبينما كان الأمير يتمشى في الحديقة، أبصر العديد من الأشجار الذاوية، فتحدث إلى البستاني قائلاً: «لماذا لا تهتم بالأشجار كما ينبغي؟ لقد ذوت كلها».

وهنا أخبر البستانيُّ الأميرَ بحادثة الطائر وأسئلته، ولاحظ أنه على الرغم من كل ما بذله من جهود في رعاية الأشجار، إلا أنها كلها كانت بلا طائل. عندئذٍ أمر الأميرُ البستانيَّ أن يطلي

الأشجار بالكلس الدبق لصيد العصافير. وعندما يصطاد ذلك العصفور عليه أن يأتي به إليه إلى القصر. وهكذا اصطيد العصفور وأُخذ إلى الأمير فوضعه في القفص.

وما إن أبصرته العبدة حتى عرفت على الفور أن العصفور هو تلك الفتاة الرائعة الجمال. فتظاهرت بالمرض الشديد، وبعثت إلى الأطباء، ورشتهم، وأقنعتهم أن يخبروا الأمير بأنها لن تشفى إلا إذا أكلت صنفاً خاصاً من الطير.

ولما سمع الأمير أن زوجته مريضة جداً دعا الأطباء إليه وسألهم عمّا يمكن فعله. أخبروه أن الأميرة لن تشفى إلا إذا هي أكلت طيراً خاصاً. قال الأمير: «لقد حصلت مؤخراً على طير كهذا». وأمر بذبح الطير الحبيس وتقديمه لزوجته. إلا أن إحدى الريشات الجميلة للطائر سقطت صدفة على الأرض، واستقرت في موضع متوار دون أن يلحظها أحدٌ.

انقضى الوقت، والأمير لا يزال منتظراً زوجته أن تستعيد بياضها. وكان في القصر امرأة تعلّم القراءة والكتابة لساكني القصر. وذات يوم وهي تهُم بصعود درجات السلّم، لمحت شيئاً لامعاً براقاً. التقطته ورأت أنه كان ريشة عصفور منقَّطة بنقط تلمع كالماس. أخذت الريشة إلى غرفتها، وألصقتها في شقٍ في الجدار.

وذات يوم وهي في القصر، سقطت الريشة من موضعها، وقبل أن تصل إلى أرض الغرفة، انظر! ماذا حدث؟ لقد تحولت إلى فتاةٍ رائعة الجمال تبهر الألباب. كنست الفتاة أرضية الغرفة، وطبخت العشاء، ووضعت كل شيء في موضعه، وبعد ذلك استحالت إلى شكل الريشة وعادت إلى موضعها في الجدار. وعندما عادت المربية العجوز إلى البيت، دهشت. نظرت في كل شيء فلم تجد حلاً للّغز.

وفي صباح اليوم التالي وهي في القصر، استأنفت الريشة عملها في شكلها الإنساني كما فعلت في اليوم السابق. وفي اليوم الثالث عزمت العجوز أن تحل هذا الغموض، وبدلاً من الذهاب إلى القصر، أغلقت جناحها متظاهرة بالذهاب إلى العمل كعادتها، ثم أخفت نفسها. وسرعان ما أبصرت الفتاة في الحجرة، وبعد أن رتبت كل شيء في موضعه شرعت تطبخ الطعام. ولما صار كل شيء جاهزاً، هرعت المرأة وأمسكت بالفتاة الغامضة وطلبت منها أن تقدِّم شرحاً لحكايتها. حكت الأخيرة مغامراتها، وكيف أن العبدة سلبتها حياتها مرتين، وكيف جاءت إلى هنا في شكل ريشه.

قالت لها العجوز مواسية: «لا تحزني، يا بنيتي أبداً. لسوف أضع الأمور في نصابها».

ولم تضع أي وقت، فهرعت إلى الأمير تدعوه إلى العشاء في ذلك المساء ذاته.

وبعد أن فرغ من العشاء، جيء بالقهوة، ولما وضعت الفتاة الفناجين، لمح الأمير وجهها، وأغمي عليه. وعندما استعاد وعيه سأل من هي. أجابته العجوز: «إنها خادمتي».

سأل الأمير: «ومتى حصلت عليها؟ هل تبيعينها لي؟».

ردَّت السيدة: «وكيف أبيعك ما هو ملك لك؟».

أمسكت الفتاة من يدها، وقادتها إلى الأمير وحثته أن يحرس الحورية البرتقالية من الآن فصاعدا بحرصٍ شديد.

أخذ الأمير العروس الحقيقية إلى قصره منتشياً بفرحة النصر، وأمر على الفور بإعدام العبدة، ثم احتفل بعرسه الجديد أربعين يوماً وأربعين ليلة. وبعد أن اكتملت الحكاية على هذا النحو السعيد، فإننا سنتمطىّ أكثر ونستريح في ديواننا.

جمال الورد

في العصور السابقة، حين كان الجمل تاجر الجياد، وكان الفأر حلاقاً، وطائر الوقواق خياطاً، والسلحفاة خبازاً، والجحش خادماً، عاش طحانٌ ومعه قطٌّ أسود. وإلى جوار ذلك الطحان، كان هناك سلطان له ثلاث بنات تتراوح أعمارهن بين الأربعين والثلاثين والعشرين. ذهبت الكبيرة إلى الأخت الصغرى وجعلتها تكتب رسالة لأبيها على النحو التالي:

«أبي العزيز، إحدى أختي هي في الأربعين، والأخرى في الثلاثين، وهما لم تتزوجا حتى الآن. خذ في حسبانك أنني لن أنتظر طويلاً حتى أحصل على زوج».

قرأ السلطان الرسالة وبعث في طلب بناته وخاطبهن قائلاً: «هذا قوسٌ وسهم لكل واحدةٍ منكن، اذهبن وارمين، وحيثما وقعت السهام ستجدن أزواج المستقبل».

أخذن السهام والأقواس من أبيهن وذهبن. أطلقت الفتاة الكبرى أولاً فوقع سهمها في قصر ابن الوزير فارتبطت به. وسقط سهم الأخت الثانية في قصر ابن الشيخ فصار لها زوجاً. وحين أطلقت الأخت الصغرى سقط سهمها على كوخ الحطاب. صاح الجميع: «هذا غير محسوب».

ورمت سهماً ثانياً، وسقط السهم أيضاً على البقعة ذاتها، ورمت ثالثاً، فلم تفلح.

كان السلطان غاضباً من ابنته بسبب رسالتها، فقال: «أيتها المخلوقة الحمقاء. هذا ما تستحقينه. أختاك انتظرتا بصبر ونالتا المكافأة. وأنتِ الصغرى، تجرأتِ على كتابة رسالة نافدة الصبر: لقد نلت عقابك العادل. خذي حطابك وغادري».

وهكذا غادرت الفتاة قصر أبيها لتكون زوجة الحطاب.

ومرَّت الأيام، وولدت لهما طفلةٌ جميلة. ندبت زوجة الحطاب حظ ابنتها بمرارة لأنها ستعيش في منزل صغير بائس، لكن وهي تبكي، اجتازت ثلاث جنيَّات جميلات حائط الكوخ ودخلن إلى الغرفة الكئيبة حيث ترقد الطفلة. وقفن بجوار سريرها البسيط ومدت كلٌّ واحدةٍ منهن يداً فوق الرضيعة النائمة.

قالت الجنية الأولى: «جمال الورد، هذا هو الاسم الذي يجب أن تدعى به، وعوضاً عن الدموع، سوف تذرف اللؤلؤ».

وقالت الجنية الثانية: «حين تبتسم ستتبرعم الورود».

وقالت الثالثة: «حيثما وطأت قدماها، سينبت العشب».

ثم اختفت الجنيات الثلاث كما قدِمن.

ومرت السنون. وكبرت الطفلة وبلغت عامها الثاني عشر، متمتعة بجمالٍ لا نظير له ولم يشهد الناس له مثيلاً. ما أن تقع عينا أحد عليها حتى يمتلئ قلبه حباً لها. حين كانت تبتسم كان الورد يتفتح، وإذا بكت تساقط اللؤلؤ من عينيها، وحيثما تطأ قدماها ينبت العشب. وبلغت شهرة جمالها الآفاق.

سمعت أم أمير بعينه بشهرة جمال الفتاة التي صارت تدعى «جمال الورد»، وقررت أن تصير هذه الفتاة - ولا أحد غيرها - زوجة لابنها. دعت ابنها إليها وأخبرته أن في المدينة فتاةً تبتسم ورداً وتبكي لؤلؤاً وينبت العشب تحت قدميها؛ وعليك أن تذهب لتراها.

كانت الجنيات قد أرين الأميرَ الفتاةَ في الحلم وأشعلن بذلك في قلبه نار الحب؛ لكنه في حضرة أمه خجل ورفض أن يتحدث عن موضوع عشقه. لذلك أصرت السلطانة، وأخيراً أمرت سيدةً من القصر أن تصطحبه في مسعاه. دخلا إلى الكوخ، وشرحا الغرض من زيارتهما، وباسم الله طلبا يد الفتاة زوجة لولي العهد. غمرت أفراد الأسرة المساكين البهجة لحسن حظهم؛ فوافقوا وأخذوا في الاستعدادات لرحيلها.

لكن سيدة القصر هذه كان لها ابنة، وكانت تشبه «جمال الورد»، وقد أزعجها أن الأمير سيتزوج هذه الفتاة الفقيرة بدلاً من ابنتها. ولذا دبَّرت خطة لتخدع بها الناس وتنفذ زواج الأمير من ابنتها هي. وفي يوم العرس أعطت ابنة الحطاب طعاماً مالحاً لتأكله، وأخذت إبريقاً وسلةً ووضعتهما في عربة العرس حيث تجلس «جمال الورد» نفسها، في حين كانت ابنتها على وشك الانطلاق صوب القصر.

وفي الطريق، شكت «جمال الورد» من العطش، وطلبت ماءً. ردت سيدة القصر: «لن أعطيك أيَّ ماء حتى تعطيني عيناً من عينيك بالمقابل».

ولما كانت على وشك أن تموت من شدة الظمأ، فقد انتزعت الفتاة إحدى عينيها وأعطتها للمرأة القاسية مقابل شربة ماء.

وبعد أن تقدَّم الموكب، داهم العطش الفتاة المسكينة مرةً ثانية، وثانيةً طلبت الماء. فقالت لها المرأة: «سأعطيك الماء إن أنت أعطيتني العين الأخرى».

كانت مأساة الفتاة وكربها عظيمين، فلم تجد الضحية بدّاً من أن تنزع عينها الثانية. وما أن نالت المرأة عيني الفتاة حتى وضعت «جمال الورد» العمياء في السلة وأوكلت إلى من يحملها إلى قمة الجبل.

بعد ذلك هرعت المرأة إلى القصر وأحضرت ابنتها في حلَّة العرس البديعة إلى الأمير قائلةً: «ها هي ذي عروسك».

أُحتفِل بالزواج بالمهرجانات والولائم العظيمة؛ لكن عندما جاء الأمير ليرفع الحجاب عن زوجته تبين أن الفتاة لم تكن تلك التي كُشِفت له في الحلم. ولما كانت تشبه فتاة الحلم بعض الشبه، فإنه قد حافظ على هدوئه.

كان الأمير يعرف أن فتاة الحلم تبكي لؤلؤاً، وتتبسَّم ورداً، وينمو العشب حيثما وطئت قدماها؛ ومن هذه الفتاة لا يحدث

شيءٌ من هذا، لا اللؤلؤ ولا الورد ولا العشب. شكَّ أكثر من أي وقت مضى أنه قد خُدِع فحدَّث نفسه قائلاً: «سوف اكتشف الأمر في الحال،» ولم يزد على ذلك كلمةً لأحدٍ حول الموضوع.

في تلك الأثناء، كانت «جمال الورد» المسكينة تبكي على قمة الجبل، فيتساقط اللؤلؤ من فتحتي عينيها العمياوين متدحرجاً على خديها حتى امتلأت السلة التي رُبِطت فيها، وفاض اللؤلؤ خارجها. سمع كنّاس يعمل في الطريق صوت النشيج المحزون، فصاح خائفاً: «من هناك، ملاكٌ أم جني؟».

ردَّت الفتاة: «لا ملاكٌ ولا جني، بل كائنٌ بشريٌّ مثلك».

اقترب الكناس من السلة للتأكد، وفتحها فرأى الفتاة العمياء واللؤلؤ الذي ذرفته. أخذها معه إلى كوخه البائس، حيث يقيم وحيداً في هذا العالم. تبنّاها كطفلة له. لكن الفتاة ظلت تواصل نحيبها على فقد عينيها، ولما كانت تبكي على الدوام، لم يعد الرجل يفعل شيئاً سوى جمع اللؤلؤ الذي تذرفه، ومن ثم الذهاب لبيعه.

ومرَّت الأيام، وكان في القصر مهرجان، وفي كوخ الكنّاس حزن وكرب وألم. وذات يوم، بينما كانت «جمال الورد» جالسةً عند باب الكوخ، تبسمت وقد خطرت ببالها بعض الذكريات السارة، فظهرت وردةٌ في الحال. قالت الفتاة للكناس: «أبي، ها هي ذي وردة، خذها إلى قصر الأمير وقل له إن معك وردةً نادرةً لتبيعها. وعندما تظهر سيدة القصر، قل إن الوردة لا تباع مقابل النقود، بل مقابل عينٍ بشرية».

أخذ الرجل الوردة وذهب إلى القصر، وراح ينادي بصوتٍ مرتفع: «وردةٌ للبيع، الوردة الوحيدة من نوعها في العالم».

وبالفعل، لم يكن الموسم موسم الورد. سمعت سيدة القصر صيحات الكنّاس، وقررت أن تشتري الوردة لابنتها، ظانَّةً أن الأمير حين يرى الوردة في حوزة زوجته ستتبدَّد شكوكه وتهدأ خواطره.

دعت الرجل المسكين جانباً، وسألته عن ثمن الوردة، فقال لها: «النقود لا يمكن أن تشتري هذه الوردة، لكني سأبيعها مقابل عينٍ بشريةٍ».

وهنا، أحضرت المـرأة واحـدةً من عيني «جمال الـورد» وأعطتها للرجل في مقابل الوردة. حملت الوردة على الفور إلى ابنتها، وثبتتها في شعرها. ولما رآها الأمير بدأ يتخيَّل أن الفتاة ربما كانت هي ذات الفتاة التي أرتها إياه الجنِّيات في حلمه، مع أنه لم يكن متأكداً بأي حال. أخذ يعزِّي نفسه بفكرة أن الأمر كله سرعان ما سيتكشَّف.

أخذ الرجل العين وأعطاها لـ «جمال الورد». حمدت الله وثبتتها في مكانها، وشعرت بسعادةٍ بالغة إذ صارت قادرةً على الرؤية مرَّة أخرى. وفي سعادتها الجديدة، تبسمت ثانية، بل قهقهت ضاحكةً فبرزت ورودٌ عديدة هنا وهناك. أعطت الفتاة واحدة منها إلى الكنّاس كي يذهب بها إلى القصر ويستعيد بها العين الثانية. وما كاد يصل إلى القصر حتى أبصرته المرأة مع وردته وقالت لنفسها: «كل شيء يسير على ما يرام. لقد بدأ الأمير يحب ابنتي. سأشتري الوردة الأخرى، وما إن يقوى حبه حتى ينسى ابنة الحطاب في الحال». نادت الكنّاس وسألته الوردة، فقال لها الرجل إن الوردة لن تباع إلا مقابل عينٍ بشرية كالمرة السابقة. أعطته المرأة العين الأخرى راضية، وأسرعت بالوردة إلى ابنتها في حين عاد الرجل الشيخ إلى كوخه بهديته.

صارت «جمال الورد» الآن بعد استعادة عينيها أجمل من ذي قبل. وصارت الآن تتبسَّم أكثر وراحت تمشي خارج الكوخ فأحال العشب الجبل المجدب إلى حديقة غنّاء. وبينما كانت الفتاة تتمشى في الجوار أبصرتها سيدة القصر فانتابها الرعب. ماذا سيكون مصير ابنتها إذا ما عُرِفت الحقيقة؟ راحت تسأل عن سكن الكنّاس، وهرعت إليه، واتهمته بإيواء ساحرةٍ في كوخه، فأصابه الرعب. سأل الرجل المرأة خائفاً وجلاً، عمّا يجب عليه أن يفعل. نصحته قائلة: «اسألها عن تعويذتها، عندئذٍ يمكنني أن أجد حلاً للمشكلة».

لذا، عندما عادت الفتاة، كان أول ما سألها الأب بالتبني هو كيف أنها وهي إنسانة تقدر على أفعالٍ سحرية كهذه. لم يخالجها أي شك بالرجل الطيب، فأخبرته أنها عند ولادتها، أعطتها الجنيات تعويذة تستطيع بها أن تنتج اللؤلؤ والورود والعشب طالما بقيت تلك التعويذة. سأل الرجل: «وما هي التعويذة؟».

أجابت الفتاة: «إنها أيّل صغير يعيش في الجبل، وعندما يموت لابدّ من أن أموت أنا أيضاً».

وفي اليوم التالي، جاءت سيدة القصر سراً إلى الكنّاس، وعلمت منه سر التعويذة. وبهذه المعرفة الثمينة أسرعت عائدة

مسرورة إلى البيت، وأخبرت ابنتها بما عرفته، ونصحتها بأن تطلب من الأمير أن يأتي لها بالأيِّل. فلم تتأخر الزوجة الشابة، بل سارعت تشكو لأميرها توعُّكها، قائلة لابدّ لها من الحصول على قلب أيِّل من جبلٍ بعينه كي تأكله فتشفى. بعث الأمير بصياديه الذي عادوا سريعا بالأيِّل فذبحوه ونزعوا قلبه الذي طبخ من أجل إدِّعاءٍ كاذب.

وعلى الفور ماتت «جمال الورد» أيضاً. دفنها الكنّاس وحزن عليها طويلاً بإخلاص حقيقي.

أما الآن، فقد كان في قلب الأيِّل مرجانةٌ حمراء لم يلحظها أحد، ولما كانت زوجة الأمير تأكل القلب سقطت المرجانة إلى قاع الصالة وتدحرجت أسفل درجات السلَّم.

وبعد عام، ولدت للأمير طفلة بكت لؤلؤاً، وتبسَّمت ورداً، وتحت قدميها الصغيرتين نما العشب. لما رأى الأمير أن طفلته كانت «جمال الورد» اقتنع بكل بساطةٍ أن زوجته هي «جمال الورد» حقاً ذاتها. غير أن هذه الأخيرة ظهرت له ذات ليلةٍ في الحلم وقالت: «أوه، أيها الأمير، يا عريسي، إن روحي هي تحت درجات سلَّم القصر، وجسدي هو في المقبرة، والطفلة هي طفلتي، وتعويذتي هي المرجانة الصغيرة».

استيقظ الأمير في الحال، وهبَّ إلى تحت سلَّم القصر وبحث فوجد المرجانة. حملها إلى مقصورته ووضعها على الطاولة. وحين دخلت ابنته الصغيرة أخذت المرجانة، وما إن لمستها أصابعها حتى اختفت. نقلت الجنيات الثلاث الطفلة إلى أمها، «جمال الورد»، التي ما أن سقطت المرجانة في فمها حتى بعثت من جديد.

ذهب الأمير في حالٍ من الغضب والهياج، إلى المقبرة. ويا للعجب! لقد أبصر هناك «جمال الورد» التي رآها في الحلم وطفلته بين ذراعيها. تعانقا بمحبة وشوق، ولما بكت الأم والطفلة من الفرح تناثر اللؤلؤ مدراراً من أعينهما، وعندما تبسمتا تفتَّحت الورود، وحيثما وطأت أقدامهما نما العشب.

وعوقبت سيدة القصر وابنتها عقوبة قاسية. ودعي الكنّاس الشيخ ليعيش في القصر مع «جمال الورد» والأمير وابنتهما. وبعد أن استعاد المحبّان اتحادهما، احتفلا بالعرس احتفالاً لا نظير له، ودامت سعادتهما مدى الحياة.

الأميرة الصامتة

عاش في الزمن الماضي سلطان ولم يكن له إلا ولدٌ واحد، وكان للأمير الصغير كرةٌ ذهبية لا يكلّ ولا يملّ من اللعب بها. وفي أحد الأيام جلس في قصره يلعب كعادته لعبته المفضلة، فأقبلت عجوز لتغرف الماء من النبع الذي كان يتدفق محدثاً خريراً أمام القصر. فاندفع ولي العهد وقذف بكرته على جرة المرأة فهشمها. ومن دون أن تقول كلمةً واحدةً، جلبت وعاءً آخر وجاءت إلى النبع. وللمرة الثانية قذف الأمير كرته على الوعاء فكسره. فاستشاطت العجوز غضباً، ومع ذلك فقد خشيت من ولي العهد ولم تجرؤ أن تتفوّه بكلمة، بل ذهبت وأحضرت وعاءً ثالثاً اقترضته لأنها لم تكن تملك نقوداً. عادت للمرة الثالثة إلى النبع، وكانت هذه المرة على وشك أن تغرف الماء حين قذف الأمير بكرته فأصاب جرتها وهشمها إلى قطعٍ صغيرة. لم تعد قادرة على كتم غيظها، فاستدارت نحو الأمير، وصاحت: «لن أقول شيئاً سوى هذا، يا أميري: فلتبتلى بحب الأميرة الصامتة».

نطقت هذه الكلمات ومضت في سبيلها.

سرعان ما وجد الأمير نفسه يمعن في كلمات العجوز ويتعجب مما يمكن أن تعنيه. وكلما فكر بها، استحوذت على عقله حتى شرعت صحته تضطرب وتتوعَّك؛ فنحل وازداد ذبوله، ولم يعد يجد أي شهية للطعام، ولم تنقض سوى بضعة أيام حتى وقع مريضاً ولازم فراشه. لم يدر السلطان ماذا حل بابنه ولا ما أصابه، واستدعي الأطباء والحكماء، لكن أحداً منهم لم يستطع أن يفعل للأمير شيئاً.

وذات يوم سأل السلطان ابنه إن كان يستطيع أن يتذكر شيئاً عن مرضه الغريب الذي كان يعاني منه. عندئذ وصف له كيف أنه حطَّم جرار العجوز ثلاث مرات متتابعة، وأخبره بما قالته العجوز له، وأخيراً أفصح عن اعتقاده أن لا الأطباء ولا الحكماء يستطيعون أن يشفوه. وطلب من أبيه أن يسمح له بالذهاب للبحث عن الأميرة الصامتة لأنه شعر أن تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تحرره من بلواه. رأى السلطان أن الولد لا يمكن أن يعيش طويلاً ما لم يُشفَ من مرضه. لذا، وبعد تردُّد طويل، سمح له، وكلّف مربِّية بمرافقته في رحلته.

وانطلقا قبيل المساء. ولما لم يكترثا لمظهرهما، فقد صارا بعد ستة أشهر أشبه بمتوحشين منهما بأمير نبيل ومربٍّ. نسيا الراحة والنوم، والتفكير بالطعام والشراب لم يخطر لهما على بال. وفي نهاية المطاف وصلا قمة جبل. ولاحظا هناك أن الصخور والتراب تضيء وتتلألأ كالشمس. نظرا حولهما وأبصرا شيخاً يقترب منهما. سأله المسافران عن اسم تلك المنطقة. فأخبرهما أنهما يقفان على جبل «الأميرة الصامتة»، وأن الأميرة نفسها ترتدي سبعة خمر، لكن الحقيقة، مع ذلك، هي أن البريق الذي أبصراه حولهما كان بسبب بريق محيّاها الفائق اللمعان. عندئذ سأل المسافران عن مسكنها. فأجابهما أنهما إن واصلا سيرهما دون توقف لمدة ستة أشهر أخرى فإنهما سيصلان إلى قصرها. وهناك فقد الكثير من الناس حياتهم في محاولاتٍ عبثية لاستخراج كلمةٍ واحدةٍ منها.

هذه الأخبار لم تثبط من عزم الأمير بأي حال، بل إنه انطلق مع رفيقه في رحلتهما.

وبعد ترحُّل طويل وجدا نفسيهما على قمة جبل آخر حيث لاحظا أن الدم الأحمر القاني يغطي المكان. وواصلا سيرهما حتى دخلا قرية، وهنا قال الأمير لمربيه: «إني في غاية التعب؛

فلنسترح قليلاً في هذا المكان، وفي الوقت ذاته نتسقَّط الأخبار».
عندئذٍ دخلا إلى مقهى، ولما علم أهل القرية أن مسافرين من بلادٍ بعيدة هما بين ظهرانيهم، أقبل الناس الواحد بعد الآخر يحيونهما ويرحبون بهما. سألهم الأمير لماذا كان الجبل مغطى بالدم فأخبروه أن الأميرة الصامتة تعيش على بعد مسافة ثلاثة أشهر، وأن شفتيها تعكسان لونهما على الجبال أمامهما وأنها ترتدي سبعة خمر، ولا تنطق بكلمةٍ واحدة، وقيل إن الكثير من الرجال قد ضحوا بحياتهم من أجلها. ولما سمع بذلك، بات الفتى نافد الصبر يتحرق شوقاً لكي يضع مصيره للامتحان ومن ثَمَّ انطلق هو ومربيه لمواصلة رحلتهما.

وبعد أيام عديدة، أبصرا جبلاً عظيماً آخر في البعيد، وظنّا أن ذلك لابد من أن يكون مقام الأميرة التي جاءا للبحث عنها. ثم حان الوقت الذي وصلا فيه عند أقدام الجبل وبدءا في الصعود. انتصبت فوقهما قلعة شاهقة، هي مسكن الأميرة الصامتة، ولما اقتربا بما فيه الكفاية لاحظا أن القلعة بنيت كلها من الجماجم البشرية. قال الأمير لرفيقه: «هذه هي رؤوس أولئك الذين هلكوا وهم يحاولون أن يجعلوا الأميرة تتحدث. فإما أن ننال بغيتنا أو أن جمجمتينا ستستخدمان للغرض ذاته».

وقبل أن يحاولا الدخول إلى القلعة، استقرّا في نزلٍ صغير لبضعة أيام. وطوال تلك الأيام لم يسمعا شيئاً سوى البكاء والعويل: «أوه، يا أخي»، «أوه، يا ولداه». ولما سألا عن سبب ذلك البكاء والحزن الشاملين، أجيب عليهما: «لماذا تسألان؟ من الواضح أنكما قدمتما لتموتا. هذه المدينة هي مدينة أبي الأميرة الصامتة. أيّاً كان من يحاول أن يجعلها تتكلم، يجب أن يذهب أولاً إلى السلطان الذي، إن هو سمح بهذا، سيرسل رفيقاً مع البطل إلى الأميرة». ولما سمع الفتى بهذا، قال لرفيقه: «وصلنا حقّاً إلى نهاية رحلتنا. سوف نستريح بضعة أيام أخرى، ثم نرى ما الذي يخبئه لنا قدرنا». أقاما في الخان، وكانا كل يوم يخرجان للتمشية في الأسواق وبينما هما منشغلان على هذه النحو رأى الأمير رجلاً ومعه بلبل في قفص. سحر البلبل لب الأمير فعزم على شرائه. فاعترض المربي وذكره بأن لديهم الكثير من المشاغل المهمة التي عليهم أن يكترثوا لها. لكن الأمير رفض أن يصغي، واشترى البلبل بمبلغ ألف «بياسترز»، وأخذه إلى النزل، وعلّق القفص في حجرته.

ولما كان الأمير ذات مرةٍ بمفرده يفكر كيف يمكن أن يجعل الأميرة تتكلم، اصطدم بفكرةٍ كئيبة، وهي أن الإخفاق يعني الموت ثم انتفض مذعوراً وقد سمع البلبل يخاطبه هكذا: «لماذا كل هذه الكآبة يا أميري؟ ما الذي يشغل بالك؟».

ارتعش الأمير، غير مصدقٍ إن كان العصفور ملاكاً أو جنيّاً هو الذي تحدث إليه. ولمّا هدأ، ظَنَّ أن ذلك كان وحياً من الله، وتجليّاً لنعمته، فأخبر البلبل قصة حبه للأميرة الصامتة، وأنه على وشك الجنون بسبب التفكير في كيف يمكنه الوقوف في حضرتها. أجاب البلبل: «لا تقلق من شيء. إن هذا هو أسهل ما يكون. اذهب هذا المساء إلى السرايا، وخذني معك. السلطانة ترتدي سبعة حمر؛ وما من أحد قد رأى وجهها، وهي لا ترى أحداً. ضعني في قفصي تحت حامل المصباح واسأل الأميرة كيف هي. وهي لن تعطي أي إجابة. عندئذ قل إنها ما دامت لن تتكلم، فإنك ستتكلم مع عمود النور. ثم ابدأ بالحديث وأنا سأرد عليك».

اتَّبع الأمير هذه النصيحة وذهب مباشرة إلى قصر السلطان. ولما علم السلطان أن قادماً جديداً يرغب أن يذهب إلى ابنته، استقبل الأمير، وحاول أن يثنيه عن مراده. قال له إن الآلاف قبله قد حاولوا عبثاً أن يجعلوها تتحدث. مهما يكن، فهو قد أقسم

أن يزوجها لمن ينجح في استخراج كلمةٍ واحدةٍ منها؛ ومن ناحية ثانية، فإن من يحاول ويخفق يفقد رأسه. كما رأى الأمير بأمّ عينيه، فقلعة ابنته مبنية كلها من الجماجم البشرية.

لم يكن ثمة من شيء يمكن أن يثني عزم الأمير العنيد عن غايته، فانحنى عند قدمي السلطان وأقسم إما أن ينجز هدفه أو يهلك في محاولته. وهكذا لم يبق من شيءٍ ليقال: أمر السلطان أن يؤخذ الأمير إلى حضرة ابنته.

كان المساء قد حل حين وجد الفتى نفسه في جناح الأميرة. وضع قفصه تحت حامل المصباح، وانحنى خفيضاً بين يدي الأميرة، وسألها عن صحتها، وتحدث عن أمور أقل أهمية. ولم يحظ بجواب. عندئذٍ، قال الأمير للأميرة: «لقد تأخّر الوقت، وأنتِ لم تمنِّي عليَّ بكلمةٍ واحدةٍ. سوف أتحدث، إذن، مع حامل المصباح. فمع أنه لا يملك روحاً، فلعل لديه شعور أكثر منك».

وعند هذه الكلمات، استدار إلى حامل المصباح وسأل: «كيف حالك؟»، فجاءه الجواب مباشرة :«في خير حال، على الرغم من أنه انقضت سنوات عديدة منذ أن تحدث إليَّ أحد. الله أرسلك إليَّ هذا اليوم، وأنا أشعر بسعادة عظيمة كأن العالم كله ملكي أنا. هل يمكنني أن أسرّي عنك بقصةٍ ما؟».

هز الأمير رأسه موافقاً، فواصل الصوت: «كان يا ما كان في قديم الزمان سلطان له بنت واحدة. أراد ثلاثة أمراء أن يتزوجوها. قال الأب لطالبي يدها: «من فاز منكم على الآخرين في مغامرةٍ سينال ابنتي زوجةً له». فانطلق الثلاثة معاً ووصلوا إلى نبع، ثم قرروا أن يمضوا في اتجاهات مختلفة حتى يتجنبوا أن تتشابك دروبهم. واتفقوا أن يتركوا خواتمهم تحت حجرة في النبع، وكل واحدٍ يأخذ خاتمه عندما يرجع إلى البقعة ذاتها، تاركاً إشارة لمن يرجعَ آخر الثلاثة أن الآخرين قد وصلا البيت.

تعلَّم الأول كيف يقطع رحلة ستة أشهر في ساعة واحدة، وتعلم الثاني كيف يخفي نفسه عن الأنظار، وتعلم الثالث كيف يعيد الحياة للميت. وعاد الثلاثة إلى النبع في وقت واحد. ذلك الذي تعلَّم كيف يخفي نفسه عن الأنظار قال إن ابنة السلطان كانت مريضة جداً وستموت خلال ساعتين وقال الآخر إنه سيعدُّ دواءً يُرجع لها الحياة، وتطوّع الثالث أن ينقل إليها العلاج. وبسرعة الضوء صار في القصر، في الحجرة التي تستلقي فيها الأميرة ميتة. وما أن لامس العلاج شفتي الأميرة حتى أفاقت سليمة معافاة. وفي تلك الأثناء وصل الاثنان، وأمر السلطان الثلاثة أن يتحدثوا عن تجاربهم».

توقف البلبل لثوانٍ قليلة، ثم استأنف حديثه: «أوه، يا وليّ العهد، أي الثلاثة تعتقد أنه يستحق الفتاة؟».

أجاب الأمير: «في رأيي، أنَّ من أعد العلاج هو المستحق».

أما البلبل فأعرب عن اقتناعه بأن من أعلم الآخرين بحال الأميرة هو المستحق، وهكذا راحا يتجادلان بحدة. في حين فكرت الأميرة الصامتة محدثة نفسها: «إنهما يتجاهلان ذلك الذي استطاع أن يقطع رحلة ستة أشهر في ساعةٍ واحدة». ولما استمر الجدل لم تعد تحتمل المزيد، فرفعت خمرها السبعة، وصاحت: «أيها الأحمقان! أما أنا فسأهب الفتاة لذلك الذي جلب العلاج. إذ لولاه لظلت ميتة».

سرعان ما أُبلغ السلطان أن ابنته بعد طول انتظار قد قطعت صمتها. لكن الأميرة اعترضت بحجة أنها كانت ضحية لحيلةٍ ولا يحق للشاب أن يعتبر ناجحاً في مهمته حتى يجعلها تتحدث ثلاث مرات. عندئذ، قال السلطان للأمير: «إن استطعت أن تجعل الأميرة تتحدث مرتين أخريين، فإنها تصير من نصيبك».

غادر الفتى محضر الملك، وذهب إلى نُزلِه، وأخذ يقلّب الأمر. وبينما هو غارق في التفكير، قال البلبل: «الأميرة غاضبة لأنها كسرت صمتها، وقد حطمت حامل المصباح، لذلك ضعني الليلة على الحامل الآخر الذي بجوار الجدار».

وعندما حلَّ المساء، قصد الأمير وبلبله السرايا. ولما دخل جناح الأميرة وضع قفص العصفور على الحامل الذي بجانب الجدار، ثم خاطب السلطانة. ولما رفضت الإجابة، استدار نحو الحامل وقال: «الأميرة ترفض أن تتكلم؛ لذا سأتحدث معك. كيف أنت؟».

«في خير حال، شكراً لك. أنا مسرور أن الأميرة لا تتحدث، وإلاّ لما تحدثت أنت إليَّ. ما دام الأمر هكذا، سأخبرك بقصة، إن أنت أصغيت إليَّ».

قال الأمير: «بكل سرور. احكها لي، فكلي آذان صاغية».

فواصل البلبل حديثه: «في إحدى المدن عاشت امرأةٌ وقع ثلاثة رجال في حبها: بالدي أوجلو، ابن العسال، وجاقدي أوجلو، ابن الزيَّات، وتايردي أوجلو، ابن الدباغ. اعتاد كل واحدٍ منهم أن يزور المرأة بطريقة حكيمة ذكية لا يعلم أيٌّ من الآخرين بزيارته.

وذات يوم كانت تمشط شعرها، فأبصرت خصلة بيضاء وقالت لنفسها: «يا ويلاه! لقد صرت عجوزاً. وسرعان ما يحين الوقت الذي يملُّني فيه أصدقائي. عليَّ أن أتخذ قراري وأتزوج». وفي اليوم التالي دعت المحبين الثلاثة لزيارتها في أوقاتٍ مختلفة. كان الواصل الأول هو جاقدي الذي وجد المرأة تبكي. سألها عن سبب حزنها، وجاءه الجواب: «لقد مات أبي فدفنته في الحديقة، لكن روحه تظهر لي وتعذبني. إن كنت تحبني، لفّ نفسك بالكفن ثم اذهب وارقد في القبر لمدة ثلاث ساعات، عندئذٍ لن تعود إليَّ روح أبي بعد ذلك». قالت المرأة ذلك، ثم قادته إلى القبر المفتوح الذي حفرته، ولما كان جاقدي مستعداً لأن يُغرق نفسه من أجلها، ارتدى الكفن فرحاً ورقد في القبر.

في تلك الأثناء، جاء بالدي الذي استفسر المرأة عن سبب بكائها. أعادت القصة ذاتها عن موت أبيها ودفنه، ثم أعطته حجراً كبيراً، وأخبرته أن يذهب إلى القبر، وعندما يظهر له الشبح عليه أن يضربه بالحجر. ولم يكد بالدي يستأذنها للذهاب إلى القبر، حتى دخل تايردي. شعر هو أيضاً بالتعاطف مع الفتاة وسألها عمّا يضايقها. قالت: «وماذا عساي أن أفعل سوى البكاء؟ فأبي مات وهو مدفون في الحديقة. وأحد أعدائه هو من السحرة وهو

الآن راقد في انتظار أن يحمل الجثة، انظر إنه قد فتح القبر لينفِّذ مراده. لو استطعت أن تخرج الجثة من القبر وتحضرها إلى هنا لصار كل شيء على ما يرام، وإن لم تستطع فقد انتهيت». لم تكد تكمل كلماتها حتى كان تايردي قد هرع إلى القبر ليأتي بجاقدي إليها. لكن بالدي وقد ظنَّ أن ثمة شبحين لا شبحاً واحداً، قرر أن يفتك بالاثنين معاً بالحجر. وظنَّ جاقدي أن الشبح قد ضربه، فهبَّ قافزاً من القبر ملقياً بالكفن. لحظتها تعرَّف الرجال على بعضهم بعضاً فكان الشرح مطلوباً».

قال البلبل: «والآن، يا أميري. أيُّ الرجال الثلاثة يستحق المرأة؟ أنا أعتقد أن تاردي هو المستحق».

أمّا الأمير فقد رأى أن بالدي أحق لأنه خاطر بنفسه كثيراً، وهكذا أخذا يتجادلان كما فعلا من قبل، آخذين في الاعتبار ألا يذكرا جاقدي. الأميرة التي أصغت إلى الحكاية بانتباه شديد خاب ظنها في أن أهلية جاقدي لم تؤخذ في الحسبان، فأعلنت رأيها بحرارةٍ وحماس.

وحُمِلت أخبار تكلُّم الأميرة الصامتة مرة ثانية إلى السلطان في قصره. لكن، بقيت مرةٌ واحدة لتجبر فيها على الحديث. وحين كان الفتى جالساً في حجرته، أعلمه البلبل أن الأميرة

كانت في حالة هياج شديد لأنها خُدعت وتكلمت للمرة الثانية، فحطمت حامل المصباح إلى قطع صغيرة. وفي مساء اليوم التالي، كان لابدّ له من أن يضع قفص الطائر خلف الباب.

وفي المقابلة الثالثة والأخيرة لم تجد الأميرة مزيداً من اللطف المعتاد، ولما رفضت أن تفتح فمها حوَّل الأمير قواه الحوارية نحو الباب. حكى الباب (الطائر خلف الباب) القصة التالية:

«سافر ذات مرةٍ نجارٌ وخياطٌ وصوفي معاً. ولما وصلوا إلى إحدى المدن، استأجروا سكناً مشتركاً، وافتتحوا عملاً تجاريّاً. وذات ليلةٍ، والآخران نائمان، نهض النجار، وشرب القهوة، وأشعل الشيبق (غليون طويل)، وصنع شكلاً لفتاةٍ فاتنة من قطع الخشب الصغيرة الملقاة على أرضية الغرفة. وبعد فترة قصيرة، استيقظ الخياط، وأبصر الشكل، فخاط له رداءً مناسباً وألبسه وعاد إلى فراشه. وعند الفجر استيقظ الصوفي وأبصر شكل الفتاة الجميلة، فصلى لله ودعاه أن يمنحها حياةً. استجيبت صلاة الصوفي فاستحال الشكل إلى فتاةٍ حيّةٍ فائقة الجمال، فتحت عينيها كما يصحو المرء من حلم.

وعندما استيقظ الآخران جلس الرجال الثلاثة يتجادلون حول ملكية المخلوق الجميل. فمن الذي يستحقها حقاً وعدلاً؟

في رأيي أن النجار هو الذي يستحقها». بهذا جزم البلبل.

أما الأمير فظن أن الفتاة من حق الخياط، وكما في المناسبتين السابقتين، احتدم الجدل من جديد. واشتد غيظ الأميرة إذ أهملا أحقية الصوفي، فصاحت: «أيها الأحمقان. الصوفي أحق بها من الآخرين. وهو من يجب أن ينالها. إنها مدينة بحياتها له، وهي لذلك من نصيبه هو لا من نصيب أحدٍ غيره».

وما كادت تكمل حديثها حتى بلغت الأخبار السلطان. وعندئذ ظفر الأمير بالأميرة عن جدارة. ارتدت المدينة كلها حُلّة المهرجان وبدأت الاستعدادات لحفل الزواج. ودَّ الأمير، مع ذلك، أن يحتفل بزواجه في قصر أبيه، فكانت البهجة عظيمة عندما وصل إلى موطنه مع عروسه. تواصلت الاحتفالات أربعين يوماً وأربعين ليلة، والمرأة العجوز التي كُسِرَت جرارها عُيِّنت في القصر مربِّية وهو المنصب الذي شغلته بسرور حتى آخر أيامها.

قُرَّه مصطفى البطل

عاشت ذات مرةٍ امرأةٌ وكان لها زوج جبان جداً لدرجة أنه لم يكن يجرؤ أن يبقى بمفرده. وفي إحدى المناسبات دعيت المرأة إلى حفلة، ولما كانت على وشك أن تذهب لتلبية الدعوة ترجّاها زوجها أن تسرع في العودة لأنه مضطر أن يمكث في البيت حتى تعود. وعدته أن تفعل. ولم تكد ترى صديقاتها لمدة نصف ساعة حتى نهضت واستأذنت في المغادرة. سألتها مضيفتها: «لماذا تغادرين بهذه السرعة؟»، فأجابت أن زوجها في البيت ينتظرها.

«ولماذا ينتظر؟»، سألتها النسوة، فردت: «إنه لا يجرؤ أن على الخروج من دوني».

«هذا أمرٌ غريب». علقت النسوة ورجونها أن تبقى قليلاً. نصحنها أن تنسلَّ عن زوجها حين تخرج معه في المرة القادمة وتتركه وحيداً في الظلام. وبهذه الطريقة سيشفى.

اتبعت المرأة هذه النصيحة، وعند أول فرصة أتيحت لها،

تركت زوجها بمفرده في الظلام. صاح الرجل مرعوباً حتى غرق أخيراً في النوم حيث كان ينتظر. استيقظ في الصباح، وعاد إلى البيت مغضباً.

كان من بين الأشياء التي ورثها من أبيه سكين صدئة. التقطها وراح ينظفها، وبينما هو على هذه الحال قرر ألاّ يعيش مع زوجته بعد الآن. انطلق خارجاً حتى وصل إلى مكان أريق فيه عسل، وتحلّقت عليه أعدادٌ هائلة من الذباب ممتِّعة نفسها بالطعام الشهي. استل سكينه وأهوى بها على الذباب العالق في العسل، فقتل ستين ذبابة. ثم هوى بها مرةً ثانية وأحصى سبعين ضحية. بعدها اتجه دون إبطاء إلى السكاكيني وطلب منه أن يحفر على سكينه ما يلي: «بضربةٍ واحدةٍ قُرَّه مصطفى البطل قتل ستين، وبالضربة الثانية جندل سبعين».

انتهى النقش، وأعيدت السكين إلى صاحبها الذي مضى لحال سبيله، حتى وصل إلى البرية. ولما حلَّ الظلام، استلقى ونام غارزاً سكينه في الأرض. في تلك البرية كان يعيش أربعون عفريتاً، يخرج أحدهم للتمشية في الصباح الباكر كل يوم. أبصر العفريت الرجل النائم ولمح سكينة، وقرأ النقش المحفور عليها فشلَّه الذعر. ولما أبصر العفريت مصطفى يستيقظ، رأى أن يعمل

على تهدئة هذا العملاق، فتوسل إليه أن ينضم اليه هو وأخوته. سأله البطل: «من أنتم؟».

«نحن أربعون عفريتاً، ولو أنك قرَّرت أن تنضم إلينا فسنكون واحداً وأربعين».

قال مصطفى: «أرغب في الانضمام إليكم. اذهب وأخبر الآخرين».

ما أن سمع العفريت هذه الكلمات حتى هُرِع إلى رفاقه يقول لهم: «يا أخوتي، أحد الأبطال يرغب في الالتحاق بنا. قوته الهائلة تظهر في النقش المحفور على سكينه: «بضربة واحدة قرّه مصطفى البطل العظيم قتل ستين، وبالضربة الثانية جندل سبعين».

أسرع العفاريت لمقابلة مصطفى، الذي ما أن رآهم حتى شعر بشجاعته تغادره. مهما يكن، فقد تمالك نفسه قدر الإمكان واستطاع بالكاد أن يقول لهم: «حياكم الله، يا رفاق!»

ردَّ العفاريت تحيته في تواضع، وأفسحوا له مكاناً بينهم. وبعد قليل سأل: «هل بينكم أي زميل مثلي؟».

أكد له العفاريت ألاّ أحد مثله. فاقتنع مصطفى، وواصل: «لأنه، إن كان يوجد واحد، فدعوه يتقدَّم ويجرِّب قوته معي».

رد العفاريت مجتمعين وهم يمضون إلى البيت: «وأين يوجد ندٌّ له؟».

كان على العفاريت أن يجلبوا ماءهم من مسافةٍ بعيدة، وكانوا يقومون بهذه المهمة بالدّور حسب أرقامهم. ولما كان العفاريت عمالقة في بنيتهم وقوتهم فقد كانوا بطبيعة الحال قادرين على حمل مقدار هائل من المياه يعد حمله مستحيلاً على البشر. وفي اليوم التالي، اقترب منه عفريت وقال له: «إنه دورك في جلب الماء، ويؤسفنا أن نقول إن البئر بعيد».

خاطبه العفاريت معتذرين خوفاً منه. فكرَّ مصطفى قليلاً، ثم طلب حبلاً، فأحضروه له. أخذه واتجه صوب البئر. راحوا ينظرون إليه من مسافة، فرأوه يربط الحبل بحجر البئر. اندهشوا وجروا نحوه صائحين متسائلين عمّا يريد أن يفعل، أجابهم: «أوه، إنني فقط سأضع البئر على ظهري وآتي به إلى البيت فلا يعود أحدٌ بحاجة إلى أن يقطع كل تلك المسافة لجلب الماء». توسلوا إليه باسم الله أن يكف عن هذا فوعدهم أن يفعل إن هم كفوا عن مضايقته في طلبه أن يجلب الماء مرة ثانية.

وبعد بضعة أيام، جاء دور مصطفى في جلب الحطب من الغابة. وللمرة الثانية طلب منهم أن يأتوه بحبل، وأخذه ومضى. أخفى العفاريت أنفسهم وجعلوا يرقبونه. وفي طرف الغابة أبصروه يدقُّ وتداً في الأرض ويشد إليه الحبل ثم أخذ يسحبه حول الغابة. وبالمصادفة هبت الريح وحركت الأشجار إلى الأمام وإلى الخلف، فصاح العفاريت: «ماذا تفعل يا مصطفى؟».

«أوه، إنني فقط سأسحب الغابة كلها إلى البيت في الحال، ولا حاجة حينئذٍ للعناء في قطع الحطب وجلبه بين الحين والآخر».

صاح العفاريت كلهم: «لا تقلقل الأشجار، فسوف تحطِّم الغابة كلها، وسنقوم نحن بجلب الحطب».

صار العفاريت الآن أشد خوفاً من مصطفى، فدعوا إلى اجتماع للبحث في أفضل طريقةٍ للتخلص من رفيقهم المرعب. وأجمعوا أمرهم على أن يصبوا فوقه ماءً مغليّاً في الليل بينما هو نائم، وهكذا يقضون عليه. لسوء الحظ أنه استمع إلى محادثتهم، وأعـدَّ نفسه للأمر. أوى في المساء إلى سريره كالمعتاد. غلا العفاريت الماء وصبوه من سطح الغرفة على الفراش الذي يرقد فيه. لكن مصطفى كان قد وضع في مرقده مخدة بدلاً عنه ووضع عليها طربوشه بعد أن سحب الغطاء فوقها، وأوى إلى ركنٍ آخر

في الغرفة ونام نوماً عميقاً بعيداً عن الأذى. وعندما أشرق ضوء الصباح جاء العفاريت معتقدين أنه قد مات. وطرقوا الباب، فجاءهم الرد من الداخل: «من هناك؟».

فطلب منه العفاريت المذعورون أن ينهض إذ كان النهار قد انتصف.

«لقد شعرت بالحر الشديد ليلة البارحة وتعرَّقت كأنني في حمام ساخن».

كانت دهشة العفاريت عظيمة إذ عرفوا أن تأثير الماء المغلي لم يزد على أن جعله يتعرَّق.

وقرَّر العفاريت في المرة التالية أن يلقوا بأربعين كرةً حديدية على مصطفى وهو نائم: لا ريب أنها ستقتله. واستمع بطلنا أيضاً لهذه الخطة. ولما حان وقت النوم، دخل غرفته وأعد الخدعة كما في المرة السابقة واضعاً الطربوش وساحباً الغطاء ثم انسحب إلى ركنه ينتظر ما يحدث. صعد العفاريت إلى السطح ونبشوا بعض القرميد وأبصروا في الأسفل من يفترض أن يكون رفيقهم النائم. تهامسوا: «انظروا، ذلك هو صدره، وذاك رأسه». ثم انهالت الكرات الحديدية الواحدة تلو الأخرى.

وفي الصباح قدم العفاريت إلى حجرة مصطفى وطرقوا الباب. لم يأتهم هذه المرة جواب، فأخذوا يهنئون أنفسهم بأن البطل لن يزعجهم بعد الآن. غير أنهم قرعوا الباب لمزيد من التأكد وأطلقوا صيحات عالية. وسرعان ما تبينوا أن فرحهم كان سابقاً لأوانه، لأن صوت مصطفى سُمِع بوضوح: «أنا لم أتمكن من النوم ليلة البارحة بسبب تقافز الفئران عليّ. دعوني أنام قليلاً».

جنَّ العفاريت هذه المرة. أيُّ نوع من الرجال هو هذا الذي لا يرى في الكرات الحديدية الثقيلة سوى فئران تتقافز؟

وبعد أيام معدودة، قال العفاريت لمصطفى: «إن لنا في البلاد المجاورة أخاً عفريتاً: هل أنت مستعد لتخوض معه نزالاً؟».

سأل مصطفى إن كان العفريت قويّاً أم لا. قالوا: «جدّاً».

«إذن، بإمكانه المجيء». قال بطلنا ذلك، مع أنه كان على وشك الموت من الخوف.

وعندما ظهر العفريت العملاق للعيان، اقترح أن يفتتح النزال بجولة مصارعة. واتفقا على ذلك، ومضيا إلى الحلبة. أمسك العفريت مصطفى من خناقه بقبضة حديدية حتى كادت عيناه تخرجان من محجريهما. سأله العفريت وقد أرخى قبضته: «فيم تحدِّق؟».

أجاب بطلنا باحتقار بالغ: «كنت أنظر من أي علوٍّ ينبغي لي أن أقذفك حتى تتحطم كل أعضائك حين تسقط».

لما سمع العفاريت هذا، جثوا على ركبهم أمام مصطفى وتوسلوا إليه أن يرأف بهم ويوفِّر حياة أخيهم. فصفح عنه مصطفى وغفر له عدوانيته بنبلٍ، فطلب منه العفاريت أن يقبل ضيافتهم ويأخذ منهم عدداً كبيراً من القطع الذهبية ليعود بها إلى بيته. سرَّ مصطفى في سريرته، وقبل الهبة وأفصح عن رغبته في العودة. تلقىّ منهم وداعهم الحار وانطلق برفقة عفريتٍ واحد أوكل إليه أن يرافقه.

حين وصل أمام بيته، أبصر مصطفى زوجته تتطلع من النافذة، وما أن وقعت عليه عيناها حتى صاحت: «ها هو زوجي الجبان قد عاد برفقة عفريت!».

كان مصطفى يشير لها من خلف العفريت أن تسكت ولا تتفوّه بشيء، ثم أخذ يجري صوب المنزل. سأله العفريت: «إلى أين أنت ذاهب بهذه السرعة؟».

قال البطل الطائر: «إلى البيت لأحضر قوساً وسهماً لأرميك به».

سمع العفريت هذا وانطلق كالسهم ليلحق بإخوته.

لم يكد مصطفى يستريح في بيته حتى جاءته أخبار عن دبٍّ شرس أخذ يعيث في المنطقة فساداً ناشراً الذعر. ذهب السكان إلى الوالي وتوسلوا إليه أن يطلب من البطل أن يذبح السفاح، قائلين: «لقد تحدّى أربعين عفريتاً. من المؤسف أن يتعرض الكثيرون جداً من الناس للقتل بواسطة الدب».

أرسل الوالي بطلب مصطفى وأعلمه أنه من غير المناسب أن يتعرَّض الناس لإرهاب دبٍّ في حين أن في المنطقة رجلاً شجاعاً مقداماً مثله. عندئذٍ قال مصطفى: «دلّوني على مكان الدب واستدعوا أربعين خيّالاً للمجيء معي».

استجيب طلبه. وذهب مصطفى إلى الإصطبل وأخذ قبضةً من الحصى الصغيرة وقذف بها الجياد. أخذت الجياد كلها، ما عدا واحداً، تشِبُّ رافعة قدميها الأماميتين. فأخذ مصطفى لنفسه ذلك الحصان الوحيد. ولما رأى الفرسان ما فعله، أشاروا على الوالي بأن الرجل مجنون، وأنهم غير مستعدين لمساعدته في اصطياد الدب. نصحهم الوالي قائلاً: «اذهبوا، وما إن تسمعوا الدب، اهربوا واتركوه له يفعل به ما يريد».

وهكذا انطلق الموكب، ولما وصلوا إلى حيث يختبئ الدب، ترك الفرسان الممتطون جيادهم بطلنا في ورطته وقفلوا راجعين. حث مصطفى جواده المطهم، لكنه حَرِنَ ولم يتحرك قيد أنملة فهجم عليه الدب بخطوات مندفعة خرقاء.

أبصر بطلنا شجرة قريبةً مواتية، فقفز من ظهر حصانه وأمسك بالفروع المتدلية، ثم أخذ يسحب نفسه إلى الأعلى. جاء الدب إلى أسفل الشجرة وراح يهم بتسلقها، فأفلت مصطفى قبضته واستقرَّ على ظهر الدب وأخذ يلكم أذني الدب بعنف شديد مما جعله ينطلق في الطريق الذي مضى فيه الفرسان. ولما أبصرهم، صاح: «قرَّه مصطفى البطل آت!».

التفتوا كلهم وأدركوا واقع الحال، أطلقوا رماحهم على الدب.

بعد تلك الحادثة، انتشرت شهرة مصطفى إلى أقاصٍ بعيدة. ومنحه الوالي العديد من نياشين الشرف، فتمتع البطل باحترام جيرانه طوال حياته.

الدرويش الساحر

عاش في قديم الزمان سلطان لم يكن له ولد. ولما كان يتمشىّ مع أحد وزرائه ذات يوم، وصلا إلى بئر قريبةٍ فتوقفا ليتمنيا. وفجأة ظهر درويشٌ صائحاً: «مرحباً بمولايَ السلطان كل الترحيب!».

فرد عليه السلطان: «ما دمت عرفت أنني السلطان، فهل يمكنك أن تخبرني سبب حزني؟».

أخرج الدرويش تفاحةً من جيب صديريه وقال: «سبب حزنك هو أن ليس لك ولد. خذ هذه التفاحة؛ كُلْ نصفها وأعط نصفها الآخر لزوجتك؛ وفي الوقت المحدد سترزق بولد. سوف يظل ابنك حتى يبلغ العشرين، وبعدها سيكون ابني».

بهذه الكلمات، اختفى.

عاد السلطان إلى قصره، وقطع التفاحة وتشاركها مع زوجته حسبما قال له الدرويش. وبعد فترة، وكما وعد

الساحر، هلَّ أميرٌ صغير ضيفاً على القصر. غمرت السعادة السلطان فأمر بالإعداد لحفل بهيج يعم أرجاء مملكته.

لما بلغ الطفل الخامسة عيِّن له مربٍّ ليعلمه القراءة والكتابة. وفي سن الثالثة عشرة بدأ يخرج في جولات ويقوم برحلات، وعقب ذلك مباشرة أخذ يشارك في رحلات الصيد أيضاً. وعندما اقترب عمره من سن العشرين، بدأ أبوه يفكر في البحث له عن زوجة. عثر على فتاة مناسبة. خطب الفتى والفتاة، لكن في يوم العرس ذاته وقد اجتمع كل الضيوف استعداداً لحفل الزفاف، أقبل الدرويش وحمل العريس إلى أسفل أحد الجبال. تركه هناك قائلاً: «امكث هنا في سلام»، وغادر. نظر الأمير الفتى حوله في خوف شديد ولم ير شيئاً أشدَّ تحذيراً من ثلاث حمامات بيضاء تطير نحو النهر الذي كان قد استقر على ضفته. وعندما حطت الحمامات تحوَّلن إلى ثلاث فتيات جميلات دخلن في الماء للاستحمام. ثم خرجت اثنتان منهنَّ واستعادتا شكلهما الأول وطارتا بعيداً. ولما خرجت الفتاة الثالثة من الماء، أبصرت الأمير الشاب، فدهشت لحضوره، وسألته كيف جاء إلى هنا. قال لها: «أحضرني درويشٌ إلى هنا».

فسرَّت الفتاة وقالت: «ذاك الدرويش هو أبي. وعندما يأتي سيجرك من شعرك ويعلقك على تلك الشجرة ويجلدك بالسوط، ويسألك: هل تدري؟ وعليك أن تجيب عن هذا السؤال بالقول: أنا لا أدري».

وبعد أن أعطته هذه النصيحة، تحولت الفتاة إلى حمامة بيضاء وطارت بعيداً.

وأخيراً، رأى الأمير الشاب الدرويش آتياً وبيده سوط. علّق الفتى من شعره على الشجرة وأخذ يجلده بقوةٍ ويسأله: «هل تدري؟» ويجيب الفتى: «أنا لا أدري»، فذهب الدرويش. ولثلاثة أيام متتالية سِيْطَ الفتى حتى صار جلده أزرق وأسود، ولما أقتنع الدرويش نفسه أنَّ ضحيته لا يدري شيئاً على الإطلاق، فك رباطه وأطلق سراحه.

وعندما خرج الشاب يتمشى في أحد الأيام أقبلت إليه الحمامة وقالت: «خذ هذا العصفور وخبِّئه. وحين يسألك أبي أي الفتيات الثلاث تعجبك، أشر إليَّ، وإن أنت لم تتعرف عليَّ فأخرج العصفور وقل: «أنا أرغب بالفتاة التي يطير إليها هذا العصفور».

قالت الحمامة ذلك وطارت.

وفي اليوم التالي أحضر الدرويش معه الفتيات الثلاث وسأل الفتى أي واحدة تسرّ قلبه أكثر، فأخرج الشاب العصفور وقال إنه يرغب بالفتاة التي سيطير إليها ذلك العصفور. وأطلق العصفور فحطَّ على الفتاة التي وجهته. فزوِّجت إلى الشاب من دون رضا أمها التي كانت ساحرة.

كان الفتى والفتاة يمشيان معاً فرأيا الأم قادمة بعدهما. لكزت الفتاة الفتى وحوَّلته إلى حديقةٍ واسعة، وبلكزة أخرى أحالت نفسها إلى بستاني. ظهرت المرأة وسألت: «أيها البستاني، ألم تمر من هنا فتاة ومعها شاب؟».

أجاب البستاني: «إن اللفت الأحمر في بستاني لم ينضج بعد، إنها لا تزال صغيرة».

ردَّت الساحرة: «يا عزيزي البستاني، إني لا أسأل عن لفتك، بل عن فتاةٍ وشاب».

لكن البستاني ردَّ بقوله: «لم أبذر أي سبانخ، إنها لا تنبت إلا بعد شهر أو شهرين».

رأت المـرأة أنه لن يفهم، فمضت في طريقها. ولما غابت عن الأنظار لكز البستاني الحديقة فصارت الشاب من جديد، ولكزت نفسها وعادت الفتاة.

ثـم واصلا سيرهما. رجعت المرأة وأبصرتهما معاً، فأسرعت لتمسك بهما. واستدارت الفتاة أيضاً ورأت أمها تسرع نحوهما. ولكزت الفتاة الشاب بسرعة وأحالته إلى تنُّور، ولكزت نفسها وصارت خبّازاً. وصلت الأم وسألت: «أيها الخباز، ألم يمر شابٌّ وفتاةٌ من هنا؟».

قال الخباز: «الخبز لم ينضج بعد، لم أضعه إلا منذ قليل، ارجعي بعد نصف ساعة فأعطيك بعض الخبز».

قالت المرأة: «أنا لم أسألك عن الخبز. أنا سألت عما أن كانت فتاةٌ وشابٌّ قد مرّا من هنا». وكان الردُّ حول الشيء ذاته: «انتظري قليلاً حتى ينضج الخبز».

تأكدت المرأة أنها لن تُفهم، فذهبت لحال سبيلها. ولما غابت عن الأنظار لكز الخباز التنور الذي صار الشاب، ولكزت نفسها وعادت فتاة، ثم واصلا طريقهما.

ونظرت المرأة خلفها مرة أخرى فأبصرت الفتى والفتاة. تأكدت الآن أن التنور والخباز هما الهاربان متنكِّرين، وأسرعت بعدهما. أبصرت الفتاة أن أمها في أثرهما فلكزت الفتى وأحالته إلى بركة وحوَّلت هي نفسها إلى بطةٍ تسبح في الماء. ووصلت المرأة إلى البركة وجعلت تجري هنا وهناك باحثةً عن مكان يمكنها أن تمرَّ منه إلى الجهة الأخرى. وبعد أن أدركت أنها لا تستطيع مواصلة طريقها، استدارت وقفلت راجعة إلى البيت. حين زال الخطر لكزت البطة البركة وأحالتها إلى الفتى وأحالت نفسها إلى الفتاة، ثم واصلا سيرهما.

ظلا يتجولان حتى وصلا إلى مسقط رأس الفتى حيث دخلا نُزلاً. حينئذٍ قال للفتاة: «ابقي هنا حتى آتي لك بعربة لتأخذك بعيداً».

وفي الطريق قابل الدرويش الذي أمسكه ونقله على الفور إلى قصر أبيه وأجلسه في الصالة الكبرى حيث كان الضيوف لا يزالون ينتظرون. نظر الأمير حوله ناقلاً بصره إليهم أجمعين، ومسح عينيه. هل كان يحلم؟ وقال محدثاً نفسه: «ما معنى كل هذا؟».

في تلك الأثناء، رأت الفتاة التي في النزل أن الشاب لم يرجع فقالت لنفسها: «الخائن هجرني». ثم أحالت نفسها إلى حمامة وطارت إلى القصر. ومن نافذة مفتوحة دخلت إلى الصالة الكبرى وحطَّت على كتف الأمير، وقالت موبخةً: «أيها الخائن! تركتني وحيدةً في النزل وجئت تحتفل بالزواج هنا!»، قالت ذلك، وطارت على الفور راجعةً إلى النُّزل.

لمَّا تحقق الفتى من أنَّ ذلك لم يكن حلماً، بل حقيقة، أخذ عربةً وعاد دون إبطاء إلى النزل، ووضع الفتاة في العربة ورجع بها إلى القصر. في ذلك الحين سئمت العروس الأولى من طول انتظار عريس غريب الأطوار، وعادت إلى بيتها. وهكذا تزوج الأمير ابنة الدرويش، واستمرت احتفالات العرس أربعين يوماً وأربعين ليلة.

السمكة الحوريّة

عاش صياد في قديم الزمان وكان اسمه محمداً ويكسب رزقه من صيد السمك وبيعه. وذات يوم، مرض مرضاً شديداً ويئس من الشفاء، فطلب من زوجته ألاّ تبوح لابنه بعد موته أن حياتهم كانت تعتمد على بيع السمك.

مات الصياد، ومرت الأيام، وبلغ الابن عمراً يحتِّم عليه أن يبدأ في التفكير بعملٍ ما. حاول أشياء عديدة، لكنه لم ينجح في شيء. ولم ينقض وقتٌ طويلٌ حتى ماتت أمه أيضاً، فوجد الولد نفسه وحيداً في العالم ومعوزاً بلا طعام أو نقود. وفي أحد الأيام صعد إلى غرفة الأشياء المهملة في المنزل، آملاً أن يعثر على شيء يمكنه أن يبيعه.

خلال بحثه وجد شبكة الصيد التي كانت لأبيه. فاقتنع من منظرها أن أباه كان صياداً. أخذ الشبكة وذهب إلى البحر. حققت جهوده نجاحاً متواضعاً إذ لم يصطد سوى سمكتين، باع إحداهما واشترى خبزاً وفحماً بثمنها. وطبخ السمكة الأخرى على الفحم الذي اشتراه، وبعد أن أكلها، عزم على أن يواصل مهنة الصيد.

وحدث أن اصطاد يوماً سمكةً جميلة فأحزنه أن يبيعها أو يأكلها. فأخذها إلى البيت، وحفر بئراً ووضع السمكة فيها. أوى إلى فراشه دون عشاء. ولما كان جائعاً فقد استيقظ باكراً ليصطاد المزيد من السمك.

عاد إلى البيت في المساء، ويمكننا - بطبيعة الحال - أن نتصور مقدار دهشته حين وجد بيته نظيفاً مرتباً. على أي حال، لقد أرجع ذلك إلى عطف جيرانه ولطفهم فدعا لهم وسأل الله أن يمنَّ عليهم بنعمته.

استيقظ في اليوم التالي مبكرا كالعادة ومتَّع نظره بمرأى السمكة في البئر، ثم ذهب إلى عمله اليومي. ولما رجع في المساء وجد مرةً ثانية أن كل شيءٍ في البيت كان جميلاً نظيفاً مرتباً. متع نفسه لبعض الوقت بمشاهدة السمكة، ثم ذهب إلى المقهى حيث حاول أن يخمن من هو الذي يرتب بيته وينظفه. ولاحظ حاله أحد رفاقه فسأله عمَّ يفكر فيه. فأخبره بحكايته وسأله رفيقه أين يحتفظ بالمفتاح ومن الذي يبقى في البيت حال غيابه. فقال إنه يأخذ المفتاح معه، وليس ثمة من أحد في البيت سوى السمكة. عندئذ نصحه رفيقه أن يمكث في البيت في اليوم التالي ويراقب خفية.

رجع الفتى إلى البيت، وفي صباح اليوم التالي، تظاهر أنه مغادر البيت وبقي داخله. فتح الباب وأغلقه، ثم أخفى نفسه. وسرعان ما رأى السمكة تقفز خارجة من البئر وترعش نفسها، ثم، ويا للعجب!، لقد صارت فتاة جميلة. أمسك الفتى بسرعة جلد السمكة الذي خلعته وألقاه في النار.

«ما كان ينبغي لك أن تفعل هذا،» قالت الفتاة موبخة الفتى، وأكملت: «لكن، بما أنه لا يمكن فعل شي، فلا بأس، لا يهم».

وافقت الفتاة وقد أطلق سراحها، أن تصير زوجة للشاب، وبدأت الاستعدادات للعرس. كلٌّ من أبصر الفتاة اندهش من جمالها وقال إنها جديرة بأن تكون عروسة سلطان. وبلغت هذه الأخبار أذني السلطان فأمر أن تُحضر إليه. ولما أبصرها وقع في حبها على الفور وعزم على اتخاذها زوجةً له. لذا أرسل في طلب الشاب وقال له: «إن استطعت في خلال أربعين يوما أن تبني لي قصراً ذهبياً وماسيّاً في وسط البحر، فلن أحرمك من الفتاة، لكن إن أنت أخفقت، فسآخذها منك».

عاد الشاب إلى البيت محزوناً مكروباً باكياً. سألته الفتاة: «لماذا تبكي؟» فأخبرها بما طلبه منه السلطان، لكنها قالت مبتهجة: «لا تبكِ. اذهب إلى البقعة التي اصطدتني فيها كسمكة واقذف فيها حجراً. سيظهر لك جنيّ ويقول لك: لبيك، ماذا تطلب؟، اخبره أن السيدة ترسل إليك تحياتها وتطلب منك وسادة. سيعطيك واحدة، خذها وألقها في البحر حيث طلب منك السلطان أن تبني له قصراً، ثم عد إلى البيت».

اتّبع الشاب تلك التعليمات، وفي اليوم التالي عندما نظروا إلى البقعة التي ألقيت فيها الوسادة، أبصر الناس قصراً أجمل من ذلك القصر الذي وصفه السلطان. وأسرعوا فرحين ينقلون الأخبار إلى السلطان بأن قصره قد أنجز حقّاً.

فطلب منه السلطان أن يبني جسراً من الكريستال. عاد الشاب ثانية إلى البيت باكياً. وحين سمعت الفتاة سبب بكائه قالت: «اذهب إلى الجنيّ كما فعلت من قبل واطلب منه وسادة، وعندما تحصل عليها ألقِها في البحر أمام القصر».

فعل الشاب ما أشارت عليه به الفتاة، واستدار إلى الوراء فأبصر جسراً جميلا من الكريستال. ذهب مباشرة إلى السلطان وأخبره بأن المهمة أنجزت.

وفي الاختبار الثالث، طلب السلطان من الشاب أن يُعدَّ وليمةً عظيمة يأكل منها كل فرد في البلاد ويبقى من الطعام الكثير. عاد الصياد الشاب إلى البيت. وبينما كان حيران يفكر في طلب السلطان سألته الفتاة عن الأمر. وما إن سمعت بالطلب الجديد حتى نصحته قائلة: «اذهب إلى الجنيّ واطلب منه مطحنة البن، لكن، احذر أن تديرها وأنت عائدٌ في الطريق».

حصل الشاب على مطحنة البن من الجنيّ بسهولة. وبينما كان عائداً إلى البيت بدأ - بدون وعي - يديرها فوقعت سبعة أو ثمانية أطباقٍ من الطعام. فالتقطها ومضى في طريقه.

وفي اليوم الموعود، وطبقاً لدعوة السلطان، اتجه كل الناس إلى منزل الصياد لتناول طعام الوليمة. أكل كلُّ ضيف ما اشتهته نفسه، ومع ذلك فقد تبقى قدرٌ كبير من الطعام.

ظل السلطان على عناده، وطلب من الشاب أن ينتج له بغلاً من بيضة. وأخبر الشاب الفتاة بالمهمة الأخيرة فقالت إن عليه أن يأتي بثلاث بيضات من الجنيّ إلى البيت وأن يحذر كيلا يكسرها. حصل على البيض لكنه أسقط إحداها وهو عائد، فقفز منها بغلٌ ضخمٌ جرى هنا وهناك قبل أن يرتدَّ خائضاً في البحر ولم يره أحدٌ بعد ذلك.

وصل الشاب إلى البيت في أمان مع البيضتين الباقيتين. سألته الفتاة: «وأين البيضة الثالثة؟»

«لقد انكسرت».

«كان عليك أن تكون أكثر حرصاً. لكن ما من شيءٍ يمكن فعله بهذا الشأن».

حمل الشاب البيضتين إلى السلطان وطلب أن يسمح له أن يقف على مقعد ويرمي البيضة، فوافق السلطان، ووقف الشاب على المقعد ورمى البيضة. وعلى الفور قفز بغلٌ إلى الأمام ووقع على السلطان الذي حاول عبثاً أن يفر هارباً. أنقذه الشاب من الخطر وعندئذٍ جرى البغل بعيداً وخاض في مياه البحر.

وفي يأسه من العثور على مهمةٍ مستحيلة يكلِّف بها الشاب، طلب السلطان هذه المرة أن يأتي له برضيع عمره يومٌ واحد فقط لكنه يستطيع أن يمشي ويتكلم. ومن دونما يأسٍ أو ملل، نصحت الشاب أن يذهب إلى الجنيّ ويبلغها تحيتها وامتنانها ويخبره أنها ترغب أن ترى ابن أختها. استدعى الشابُ الجنيّ ونقل له رسالة الفتاة. أجابه الجنيّ: «لكنه، ولد منذ ساعة فقط، وأمه قد لا تود أن تتخلى عنه. لكن، انتظر قليلاً وسأفعل ما أقدر عليه».

حتى لا نطيل، ذهب الجنيّ وسرعان ما عاد برضيع ولد للتو. وما أن رأى الصياد حتى جرى نحوه صائحاً: «إننا ذاهبان إلى عمتي، أليس كذلك؟».

أخذ الشاب الرضيع وأحضره إلى قصر السلطان فقفز الطفل صاعداً على جسم السلطان وخبطه على وجهه وخاطبه قائلاً: «كيف يمكن بناء قصر ذهبيّ ماسيٍّ في أربعين يوماً؟ ومدُّ جسرٍ من الكريستال أيضاً في الوقت ذاته؟ كيف يمكن لإنسانٍ واحد أن يطعم كل الناس في البلاد؟ وأن ينتج بغلاً من بيضة؟».

كان الطفل يلكم السلطان لكمة جديدة عند كل جملة، فصاح السلطان في الأخير طالباً من الشاب أن يبقي الفتاة لنفسه إن هو خلّصه من هذا الرضيع المزعج. عندئذ حمل الشاب الطفل وعاد به إلى البيت.

تزوج بالفتاة، وتواصلت الأفراح أربعين يوماً وأربعين ليلة.

سقطت ثلاث تفاحات من السماء! إحداهما لي، والأخرى لحسني، والثالثة للحكواتي. فأي التفاحات لي؟

الحصان العفريت والساحرة

كان لأحد السلاطين ثلاث بنات. وقبل أن ينطلق في رحلة دعا بناته إليه وأوصاهن بأن يطعمن حصانه المفضل بأنفسهن، وألاّ يوكلن هذه المهمة لأي أحدٍ آخر لأنه لا يثق بأي غريب يقترب منه. ارتحل السلطان، وحملت البنت الكبرى الطعام إلى الإصطبل: غير أن الحصان لم يسمح لها بالاقتراب منه. وحاولت البنت الثانية فلم تفلح هي الأخرى. ثم ذهبت البنت الصغرى إلى الحصان، فهدأ تماماً واستقبل الطعام وشرب من يديها. سرت الأختان وتنفستا الصعداء من همٍّ تلك المهمة المضجرة والمزعجة.

حين رجع السلطان كان أول شيء سأل عنه هو إن كان الحصان قد لقي العناية المطلوبة في حال غيابه. قالت الأختان الكبيرتان: «إنه لم يسمح لنا حتى أن نقترب منه. لكن أختنا الصغرى تولّت إطعامه».

لما سمع السلطان هذا قال إنها، إذن، يجب أن تصير زوجةً للحصان، في حين تزوجت البنتان الأخريان إلى الوزير وشيخ الإسلام. استمرت الاحتفالات بالأعراس الثلاثة أربعين يوماً وأربعين ليلة، بعدها ذهبت البنت الصغرى إلى إصطبلها في حين زفّت أختاها إلى قصريهما البديعين.

مهما يكن، فلم تحظ البنت الصغرى بالحصان عريساً والإسطبل سكناً إلا في النهار. أما في الليل، فإن الإصطبل كان يتحوَّل إلى حديقة ورود والحصان يتحول إلى شاب وسيم. وهكذا عاشا في منتهى الهناءة والسعادة، ولم يعرف أحد سرهما سواهما.

ثم حدث أن السلطان رتَّب سباقاً في فناء القصر، وكان أشجع الفرسان المتنافسين هما زوجا بنتي السلطان. قالتا لأختهما صاحبة الإصطبل: «انظري! إن زوجينا هما أشبه بأسدين، انظري ما أبرع قذفهما للرماح. أين هو زوجك الحصان؟»

لحظتها هزَّ الحصان نفسه واستحال إلى شكله البشري، وامتطى حصاناً مطهماً، ورجا زوجته ألاَّ تكشف هويته ثم اقتحم حلبة المنافسة. هزم كل المقاتلين، وأسقط أخويه بالمصاهرة من حصانيهما، ثم اختفى تماماً كما لو أنه لم يظهر على الحلبة.

وفي اليوم التالي تواصلت المنافسة، وعاملت الأختان الكبريان أختهما الصغرى باستخفاف واحتقار، إلا أن البطل المجهول ظهر ثانية، وأسقط منافسيه ثم اختفى كما فعل من قبل.

وفي اليوم الثالث، قال الفارس لزوجته: «إن وقعتِ في خطر، أو كنتِ بحاجة إلى أي مساعدة، أحرقي هذه الشعرات الثلاث، وحيثما كنتِ سأجيء إليك».

ثم ذهب إلى حلبة المنافسة وقاتل ثانية أخويه بالمصاهرة. أذهلت شجاعته وبراعته الجموع حتى أختيه بالنسب لم تستطيعا أن تخفيا إطراءهما، لكنهما قالتا لأختهما الصغرى بخبث وسوء نية: «انظري كيف يفهم هؤلاء الفرسان المنافسة، إنهم ليسوا كزوجك الحصان».

لم تستطع المرأة المسكينة أن تحتمل المزيد، فأعلنت أن الفارس الجميل الشجاع هو زوجها، لكنها لم تكد تستدير لتسير إليه حتى كان قد اختفى. وذكَّرها هذا بأنه قد حذرها ألاَّ تبوح بسره لأحد. طغى عليها الندم وهي تنتظر بشوق عودته إلى الإصطبل، وعبثاً كان انتظارها، فلم يعد الحصان ولا عاد الرجل. ولا الورود ولا الحديقة كانت لها في تلك الليلة.

انتحبت بحرقةٍ قائلة: «يا ويلي، لقد خنت زوجي، وحنثت بوعدي؛ ولهذا أعاقب!».

لم يغمض لها جفن طوال الليل، بل ظلت تبكي حتى الصباح. وعندما أضاء الصباح ذهبت إلى أبيها، وأخبرته دامعةً ما حدث مقسمةً أنها ستخرج للبحث عن زوجها حتى لو ذهبت إلى آخر الأرض. وحاول أبوها أن يثنيها من دون جدوى. ذكر لها أن زوجها هو عفريت ومن ثمّ فلن تعثر عليه، إلاّ أن كل حججه أخفقت في أن تهز اصرارها.

انطلقت مثقلة بالحزن في رحلة بحثها، ومشت مسافات بعيدة حتى سقطت من الإعياء عند قدم جبل شاهق. وهنا تذكرت الشعرات الثلاث، فأحرقت إحداها فأبصرت زوجها على الفور يحوطها بذراعيه. أخرستهما البهجة معاً.

عاتبها الشاب بلطفٍ قائلاً: «ألم أنصحك ألاَّ تفشي سرنا لأحد؟ لو رأتنا أمي الآن فستفرّق بيننا في الحال. هذا الجبل هو مسكننا، وأمي ستكون هنا على الفور. يا ويلنا إن وقع بصرها علينا!».

فزعت الفتاة المسكينة عند سماعها لهذه الكلمات، وانتابها الكرب الشديد إذ ما كادت تعثر على زوجها حتى توجَّب عليها فقدانه مرة ثانية. أسف ابن العفريتة لحالها، وربت عليها برفق وأحالها إلى تفاحة ووضعها على الرف. زاعقةً بصوتٍ مرتفع، طارت الساحرة هابطةً من الجبل، وصاحت بشدةٍ إذ شمَّت رائحة لحم بشري، واللحم البشري هو ما يجب أن تناله. وعبثاً حاول ابنها الإنكار، ورفضت هي أن تصدقه.

وأخيراً قال لها الشاب: «إن أنتِ أقسمت على البيضة ألا تؤذيها، فسأريك ما خبأت».

وعدته الساحرة، ونقر الشاب التفاحة نقرة خفيفة فظهرت الفتاة الجميلة.

قال: «انظري زوجتي!».

لم تقل العجوز شيئاً، بل كلفت زوجة ابنها ببعض المهمات البسيطة، وعادت إلى عملها.

وسمح للزوج والزوجة أن يعيشا بسلام لبضعة أيام، غير أن الساحرة العجوز كانت فقط تنتظر أن يترك ابنها البيت لبعض

شأنه لتصب جام غضبها على زوجته. وأخيراً جاءت الفرصة. فأمرتها قائلةً: «اكنسي، ولا تكنسي». ثم ذهبت.

تحيرت الفتاة المسكينة ماذا تفعل إذ لم تدر ما يجب عليها أن «تكنس» وماذا «لا تكنس». تذكرت الشعرتان، وأخذت إحداهما وأحرقتها. وعلى الفور كان زوجها إلى جوارها، فأخبرته بمشكلتها. شرح لها أن عليها أن «تكنس» الغرفة و«لا تكنس» الفناء.

ففعلت الفتاة ما أخبرها. وقبل حلول المساء جاءت الساحرة وسألت إن كان العمل قد أنجز. أجابت الفتاة: «لقد كنست ولم أكنس». فسخرت منها العجوز قائلةً: «أيتها المخادعة! أنت لم تكتشفي إلى ذلك من ذات نفسك. لقد علّمك ابني بالتأكيد».

وفي اليوم التالي جاءت الساحرة العجوز وسلمت الفتاة طاساتٍ ثلاث وأمرتها أن تملأها بدموعها. بكت الفتاة وبكت على نحو متواصل، لكنها أخفقت حتى في ملء طاسةٍ واحدة. وفي محنتها هذه، أحرقت الشعرة الثالثة فظهر زوجها ونصحها أن تملأ الطاسات بالماء ثم تضيف قليلاً من الملح إليها.

فعلت الفتاة ذلك، وحين جاءت المرأة العجوز في المساء أرتها الفتاة الطاسات الثلاث الممتلئة. فثارت المرأة صارخةً: «أيتها المخلوقة المحتالة! هذا ليس عملك، لكنك لن تخدعيني أنتِ وابني مرة ثانية».

وفي اليوم التالي أمرت زوجة ابنها أن تعدَّ لها فطيرة. غير أن الفتاة بحثت في كل مكان فلم تجد شيئاً تعدُّ منه الفطيرة. وهذه المرة ما عاد لديها شيءٌ تستطيع به أن تطلب عون زوجها البعيد فهي قد أحرقت الشعرات الثلاث السحرية. مهما يكن، فإن الشاب كان يشك بنوايا أمه تجاه زوجته فعاد مباغتةً إلى زوجته ووجدها وهي في حالةٍ من الكرب الشديد فاقترح أن يهربا قائلاً: «لن تهدأ أمي حتى تحطمك. فهيا بنا نهرب قبل أن ترجع».

فخرجا معاً إلى العالم الفسيح.

وفي المساء عادت الساحرة إلى البيت، ووجدت أن كلاً من ابنها وزوجته لم يكونا موجودين. فزعقت: «الخسيسان هجراني!» ودعت أختها الساحرة إليها وأرسلتها في طلب الآبقين وإحضارهما. دخلت الساحرة الثانية إلى واحدةٍ من الطاسات وصنعت سوطاً من الأفاعي ثم انطلقت مثل لمعة البرق. ولما رأى الابن العفريت خالته ربت خبط الفتاة بخفة وحوَّلها إلى

حوض سباحة. وحوَّل نفسه هو إلى مشرفٍ على المسبح ووقف أمام الباب. خرجت الفتاة من الطاسة ونزلت وسألته عمّا إذا كان قد رأى فتاة وشاباً، قال: «أنا فقط أسخِّن الحوض، ولا أحد هنا. إن أنتِ لم تصدقيني، ادخلي وانظري بنفسك».

أدركت المرأة أنها لا تستطيع أن تفعل معه شيئاً، فعادت إلى الطاسة ورجعت إلى أختها تخبرها بفشلها في مسعاها.

سألتها إن كانت قد أبصرت أي أحدٍ في طريقها، قالت: «أوه، نعم، تحدثت إلى مشرف على حوض السباحة، لكنه كان أصمًا أو غبيّاً، لأني لم أستطع أن أحصل منه على شيء». فسخرت منها الساحرة قائلةً: «أنتِ أغبى منه إذ لم تستطيعي أن تتبيني أن حوض السباحة والمسؤول عنه هما ابني وزوجته».

ثم دعت هذه المرة أختاً أخرى وبعثتها بعد الهاربين.

نظر الابن العفريت إلى الوراء فأبصر خالته الثانية قادمة خلفهما في طاسةٍ. ربَّت على زوجته فاستحالت إلى نبع ووقف هو إلى جوار النبع يغرف الماء. صعدت الفتاة من الطاسة وسألته إن كان قد رأى شاباً وفتاة. فقال الرجل على نحو ساذج: «في هذا النبع ماءٌ رائع للشرب».

ظنت المرأة أنه شديد الغباء لدرجة أنه لم يفهم أسئلتها، فأسرعت إلى أختها تخبرها أنها لم تر أيَّ أحدٍ من الزوجين المفقودين. سألتها الساحرة إن كانت قد رأت أي أحدٍ في طريقها، قالت: «أبصرت فقط أحد السذَّج يغرف الماء من النبع». صرخت الساحرة بغضب شديد: «ذلك المعتوه هو ابني، وذلك النبع هو زوجته. يبدو أن عليَّ أن أذهب بنفسي».

وهكذا، دخلت في الطاسة، وصنعت سوطاً من الأفاعي، وانطلقت.

نظر الشاب الآن إلى الخلف ورأى أمه ذاتها قادمة. ربَّت على الفتاة وأحالها إلى شجرة وأحال نفسه إلى أفعى ملتفةً حول الشجرة. عرفتهما الساحرة، كانت ستمزِّق الشجرة إلى قطع صغيرة لو أنها استطاعت أن تفعل من دون أن تؤذي ابنها. لذلك قالت للأفعى: «يا بني، أرني على الأقل الإصبع الصغيرة للفتاة، وسوف أترككما بعدها بسلام».

رأى الابن أن الطريقة الوحيدة للخلاص من أمه هي أن يلبي لها طلبها. لذلك سمح لواحدةٍ من أصابع الفتاة أن تصير مرئية. وعلى الفور التهمت أمه الإصبع واختفت.

وبتربيتةٍ أخرى استأنفت زوجته شكلها الأول، وعاد الاثنان إلى منزل أبيه السلطان. وبعد أن تحطمت تعويذته صار إنساناً فانياً ولم يعد عفريتاً، ولم تعد لأمه القدرة عليه. ابتهج السلطان لعودة ابنه المفقود، وأقيمت الاحتفالات بزواجه بأبّهةٍ عظيمة. وبعد أن مات السلطان العجوز، ورثا عرشه.

المغفل

في الوقت الذي كان لله فيه عبادٌ كثيرون، وكان كثيرٌ من البشر يعانون من الحزن، كان من بين هؤلاء امرأة مسكينة لها ثلاثة أولاد وابنة. كان الولد الصغير ساذجاً إلى حدٍ ما وكان يظل طوال النهار مستلقياً بجانب الموقد.

وفي أحد الأيام خرج أخواه الأكبران إلى الحقل للعمل، وطلبا من أمهما قبل أن يغادرا أن تعدَّ لهما شيئاً من الطعام وترسله مع أختهما. وفي الجوار أقام عفريت بثلاثة رؤوس، فأخبر الأخوان أختهما أيَّ طريقٍ تسلكه لتتجنب العفريت.

انطلقت الأخت بعد أن أُعدَّ العشاء لتأخذه إلى أخويها، لكنها أخطأت طريقها وسارت دون علم في الطريق المؤدي إلى منزل العفريت. لم تكن قد قطعت سوى جزءٍ يسير من الطريق حتى برزت زوجة العفريت ذي الرؤوس الثلاثة واقفة أمامها تسألها كيف جاءت إلى هنا. تحدثت إلى الفتاة التي كانت ترتجف خوفاً وأغرتها بالذهاب إلى المنزل واعدةً إياها أن تخفيها عن زوجها.

غير أن العفريت ذا الرؤوس الثلاثة كان ينتظر الفتاة. وما إن دخلت المرأة حتى قالت إنها ستعد العشاء في الحال، قالت: «سوف أعجن الفطيرة، لكن على ابنتي أن تشعل النار».

وما كادت الفتاة تفرغ من إعداد النار حتى انسل العفريت داخلاً وفتح فاه، والتهمها كما هي.

في تلك الأثناء، والأخوان يتوقعان وصول عشائهما، انتظرا وانتظرا، غير أن أختهما لم تصل ولم يصل العشاء. وحل المساء حين وصل الأخوان إلى البيت وعلما أن أختهما قد خرجت بالعشاء قبل الظهر فشكّا بما حدث لها. لابدّ من أنها ضلت طريقها وذهبت إلى منطقة العفريت. عزم الأخ الأكبر بعد قليل من التفكير أن يذهب إلى العفريت ويطلب منه أخته.

وبينما هو سائر في طريقه يدخن غليونه ويستنشق الزهور وصل إلى تنُّور مشتعل بجانب الطريق وإلى جواره شيخ بلحية بيضاء سأله إلى أين هو ذاهب. أخبره الأخ بما أصاب أخته من سوء حظ وقال إنه يبحث عن العفريت ذي الرؤوس الثلاثة ليقتله. قال له الشيخ: «لن تستطيع أن تقتل العفريت حتى تأكل الخبز الذي ينضج في هذا التنور».

ظن الفتى أن تلك لن تكون مهمة عسيرة، فأخذ رغيفاً من التنور وقضمه وانطلق يجري حتى خلَّف الرجل والتنور والخبز بعيداً.

ولما توقف ليلتقط أنفاسه، أبصر رجلاً يحمل جرَّة مليئة بالنبيذ. وتحدث الأخ إلى هذا الرجل عن شأنه مع العفريت فقال له الرجل: «لن تستطيع أن تفعل بالعفريت شيئاً حتى تشرب قليلاً من هذا النبيذ».

حاول الفتى أن يشرب من النبيذ، لكنه صاح: «أوه بطني، أوه، بطني» وانطلق يجري بعيداً عن الرجل ولم يتوقف إلا عندما وصل إلى جسرين، كان أحدهما خشبيّاً والآخر من الحديد. وفي الناحية المقابلة انتصبت شجرتا تفاح إحداهما محمّلة بالتفاح الحامض والأخرى بالتفاح الحلو.

وكان العفريت ذو الأوجه الثلاثة منتظراً في الطريق ينظر أي الجسرين سيختاره الفتى، الخشبي أم الحديدي، وأي التفاحتين سيأكل منهما الحلوة أم الحامضة. ولخشيته أن ينهار الجسر الخشبي عبر الفتى على الجسر الحديدي، ولما كانت التفاحات الحامضة غير ناضجة قطف تفاحات حلوة. وعرف العفريت ما يكفي الآن. أرسل زوجته لمقابلة الفتى، فأغرته بالذهاب إلى البيت. وفي الحال وجد نفسه في جوف العفريت إلى جانب أخته.

وانطلق الأخ الثاني الآن للبحث عن أخيه وأخته. لم يستطع هو الآخر أن يأكل الخبز، والنبيذ سبَّب له مغصاً في بطنه. كما أنه أيضاً عبر على الجسر الحديدي، وأكل التفاح الحلو وانتهى به المآل إلى جوف العفريت.

سنوجّه الآن اهتمامنا إلى الأخ الأصغر. لاحظت الأم الابن المغفل في جوار الموقد، فرجته ألا يهجرها وهي في عمرها المتقدم. لقد فعل إخوته الآخرون ذلك، أما هو - على الأقل - فإن عليه أن يظل معها. لكنه لم يُصغ لها، بل قال: «لا، لن أبقى حتى تُنقذ أختي وأخواي، ويُقتل العفريت، وإلا فلن يهدأ لي بال».

نهض من ركنه، ونفض الرماد عنه، وفي تلك اللحظة هبَّت قوية وعصفت بكل شيء في المنزل من معدات الحرث إلى الحقول. جمع المغفل تلك الأشياء المبعثرة وذهب بها إلى الحداد طالباً منه أن يصنع له منها رمحاً إذا ما رماه في الهواء سقط على إصبعه من دون أن ينكسر. ولما صنع الحداد الرمح، قذف به الفتى إلى أعلى فسقط على إصبعه الصغرى وتحطم إلى أجزاء صغيرة.

ونفض المغفل الرماد ثانية عنه فهبت عاصفة أخرى جعلت العمال في الحقول يهرعون إلى بيوتهم مذعورين. وثانيةً، جمع المغفل معدات الحرث والزراعة وذهب بها إلى الحداد. صنع الرمح الثاني وتحطم أيضاً في المحاولة.

وللمرة الثالثة أثار المغفل عاصفة، وجمع بعدها بقية معدات الزراعة وحصل منها على رمح آخر. هذه المرة لم يتحطم الرمح عندما وقع على إصبعه. حينئذٍ قال: «هذا سَيَفي بالغرض». وخرج ماضياً في طريق بحثه.

لم يمض وقتٌ طويل حتى وصل إلى التنور. حيّاه الخباز وعلم منه أنه ذاهب ليقتل العفريت وأخبره أنه لن يستطيع إنجاز مهمته إلا إذا أكل الخبز وشرب النبيذ الذي في الجرة التي سيجدها في طريقه. قبِل المغفل هذه المهمة فأكل الخبز كله، وشرب النبيذ كله وواصل سيره حتى وصل إلى الجسر الخشبي والجسر الحديدي وشجرتي التفاح خلفهما.

كان العفريت يراقب باهتمام وتوتر غارت معهما شجاعته وهو يرى أفعال الفتى. فكر المغفل وهو ينظر إلى الجسرين وقال: «أي طفل سيعبر على الجسر الحديدي». ثم اختار المضي على الجسر الخشبي. وقال: «ليس في أكل التفاح الحلو أي فن» ثم

اختار أن يأكل التفاح الحامض. عندئذ خاطب العفريت المذعور زوجته قائلاً: «مع هذا الفتى ينبغي أن نتعامل بطريقة أخرى. أعدِّي رمحي، علينا أن نقاتله».

كان المغفل قد رأى العفريت من بعيد فمضى نحوه مباشرةً وحياه بأدب، فقال له العفريت: «لو أنك لم تحيِّني، لكنتُ ابتلعتك».

فرد عليه الفتى: «وأنا من ناحيتي أقول، لو أنك لم ترد تحيتي لكنت قتلتك بغرز هذه الرمح في جسدك».

قال العفريت ذو الرؤوس الثلاثة: «إن كنت شجاعاً حقاً، فخذ رمحك!».

تناول العفريت رمحه وقذف به بكل قوته على الفتى، فتلقاه هذا بإصبعه الصغيرة محطِّماً إيّاه إلى أجزاء صغيرة. وقال: «والآن جاء دوري» ثم قذف بقوةٍ هائلة فأصاب صدر العفريت وصعدت روحه من أنفه.

صاح العفريت: «اقذف مرةً ثانية إن كنت شجاعاً».

لكن ما كاد المغفل يكمل كلمته «لن أفعل»، حتى لفظ العفريت أنفاسه الأخيرة.

أخذ المغفل الآن يبحث عن زوجة العفريت. وعندما فتحوا بطن العفريت خرجت الفتاة وأخواها وعادوا مع أخيهم المغفل إلى البيت.

حين كان الأخوان وأختهما في جوف العفريت شعروا بالعطش الشديد وحين اقتربوا من أحد الآبار طلبوا من أخيهم الأصغر أن يجلب لهم الماء ليشربوا. خلعوا أحزمتهم وربطوها معاً ثم ربطوا أخاهم الأكبر وأنزلوه في البئر. بلغ نصف المسافة وسرعان ما جعل يخور من الرعب صائحاً: «أوه، اسحبوني، ارفعوني، إنني أحترق».

سحبوه بسرعة، وحاول الأخ الثاني القيام بالمهمة، وتكرر ما حدث لأخيه الأول. قال المغفل: «والآن جاء دوري، لكن انتبهوا، لا ترفعوني أبداً مهما توسلت إليكم أن تفعلوا».

فأنزلوه، وسمعوا صراخه وتوسلاته، لكنهم لم يبالوا به ولا بخوفه بل واصلوا إنزاله إلى قاع البئر. وهناك وجد حُجرةً فدخلها وأبصر ثلاث فتيات جميلات كالأقمار. فزعن إلى حد بعيد لمّا أبصرن الفتى ورجونه دامعاتٍ أن يغادر كهف الساحر، لكنه لم يُصغ لهن.

ولكيلا نطيل، فقد قتل العفريت وحرَّر الفتيات الثلاث اللاتي سرقهن الساحر من أبيهن السلطان قبل سبع سنوات. وقرر المغفل أن يتزوج أخواه الفتاتين الكبرين ويتزوج هو الفتاة الصغرى. وبعد أن ملأ الإناء بالماء قاد الفتيات إلى حيث يتدلّى الحبل. كانت الفتاة الكبرى هي أول من صعد، فأخذها الأخ الأكبر لتكون تحت رعايته، ومثله فعل الأخ الثاني مع الفتاة الثانية. وأخيراً جاء دور الفتاة الصغيرة التي رأت أن يصعد الفتى قبلها ويسمح لها أن تتبعه قائلةً: «سيكون أخواك غاضبين لأنك اخترت لنفسك الفتاة الأجمل».

ردَّ المغفل: «لسوف أجد لنفسي مخرجاً من ذلك».

ولما رأت أنها لم تستطع إقناعه، أخذت صندوقاً وأعطته إيّاه قائلة: «حين تكون في خطر، افتح الصندوق. وإن أنت ضربت حجر الصّوان الذي بداخله، فسيظهر لك جنيّ ويلبي لك كل ما تطلبه منه. وإن تركك إخوانك هنا في البئر، اذهب إلى قصر العفريت وقف بجوار البركة التي هناك حيث سيجيء خروفان إلى جوار البركة كل يوم أحدهما أسود والآخر أبيض. إن أنت أمسكت بجلد الأبيض فستنتقل إلى سطح الأرض، أما إن أمسكت بالأسود فإنك ستنتقل إلى المناطق السفلية».

قالت ذلك وصعدت إلى حافة البئر. وما كادت أعين الأخوين تقع عليها حتى وقعا في حبها، ومثلما سبق أن توقعت فإنهما قد تركا أخاهما المغفل في قعر البئر.

ما الذي كان عليه أن يفعله الآن؟ لقد عاد إلى القصر، ووقف بجوار البركة ينتظر وصول الخروفين اللذين سرعان ما ظهرا. أمسك الفتى بالخروف الأسود بدلاً عن الخروف الأبيض وبوثبةٍ واحدةٍ وجد نفسه في الأرض السفلية. فكَّر محدِّثاً نفسه: «سوف أقوم بجولة في هذه المنطقة». ثم راح يتمشى.

قضى نهاره وليله صاعداً جبلاً وهابطاً وادياً حتى أدركه الإعياء ولم يعد قادراً على مواصلة المشي فتوقف ليستريح قريباً من شجرةٍ سامقة. أبصرت عيناه أفعى ضخمة تزحف صاعدة الشجرة وكانت على وشك أن تبتلع عش عصافير صغيرة لو لم ينقذها في الوقت المناسب. أمسك رمحه بشدةٍ وفصل الأفعى إلى جزأين. ثم استلقى بعدئذٍ تحت الشجرة حيث غرق في النوم العميق من الإرهاق والحر الشديد.

حينئذٍ أقبلت أم العصافير الصغيرة التي كانت طائر العنقاء الزمرديَّة ملكة المخلوقات الخيِّرة. أبصرت الفتى النائم فحسبته العدو الذي يقتل عصافيرها عاماً بعد عام وودت أن تمزقه إرَباً

لولا أن أطفالها طلبوا منها صائحين أن لا تصيبه بأي أذى. أخبروها كيف قتل الأفعى عدوّتهم، وأبصرت العنقاء جسم الأفعى المفصول.

طردت الذباب عن النائم ونشرت جناحيها لتحميه من حرارة الشمس، ولما استيقظ رأى جناحي العنقاء فوقه كأنها خيمة. أخبرته العنقاء عن رغبتها في مكافأته على فعلته الكريمة وسألته عمَّا يريد، فقال لها: «انقليني إلى سطح الأرض». قال الطائر الزمردي:

«سأنقلك إذا كان معك أربعة آلاف رطل من لحم الضان وأربعين زجاجة من الماء. ضعها على ظهري، ثم اصعد أنت. وعندما أقول: غيك!، أطعمني، وعندما أقول: غاك!، اسقني».

تذكر الفتى الصندوق، ففتحه، ثم أخذ حجر الصوان وقرعه، فقال الجنيّ الضخم الذي ظهر فجأة: «شبيك لبيك يا سلطاني؟».

قال: «أربعة آلاف رطل من لحم الضأن وأربعون قارورةً من الماء».

وفي ثوانٍ قليلة كان اللحم والماء على ظهر الطائر، فصعد الفتى، وعندما صاحت العنقاء «غيك!» أطعمها لحماً، وعندما صاحت «غاك!» أسقاها ماءً. طارت العنقاء من طبقةٍ أرضيةٍ إلى أخرى وسرعان ما بلغت الأرض حيث نزل الفتى، ووعده الطائر أن يبقى حتى يعود.

أخذ الفتى الصندوق وطلب من الجنيّ أن يأتيه بأخبار الأخوات الثلاث. وخلال وقت قصير أحضر له الجنيّ الفتيات الثلاث. صعد الكل إلى ظهر العنقاء وحمّلوها باللحم والماء وطاروا إلى موطن الفتيات الثلاث.

صاحت العنقاء الزمردية: «غيك!»، فأطعموها اللحم، وصاحت «غاك!» فاسقوها الماء. لكن لم يكن معهم طعام ليأكله الأربعة أيضاً، فلم يكف اللحم زاداً للرحلة ولم يتبق شيءٌ لإطعام الطائر. ولما صاحت العنقاء: «غيك!»، أخذ الفتى سيفه وقطع لها جزءاً من ساقه ووضعه في منقار العنقاء. فهمت العنقاء أن ذلك اللحم لحم إنسان، فلم تأكله، بل تشبثت به بمنقارها. ولما وصلوا موطن الفتيات الثلاث، أخبرته أنه لم يعد بإمكانها أن تطير أبعد من ذلك.

كانت ساقه تؤلمه ألماً شديداً فلم يستطع أن يخطو خطوةً واحدة، فقال للطائر: «اذهب، وسأستريح قليلاً».

قال الطائر الزمردي: «أوه، أيها الفتى الأحمق!» ثم وضعت قطعة اللحم التي بين منقاريها في موضعها من ساقه فشفيت في الحال.

كانت دهشة المدينة بعودة بنات السلطان بالغة. لم يستطع السلطان أن يصدق عينيه. عانق بناته، واستمع إلى قصتهن، ووهب مملكته وابنته الصغرى للفتى المغفل.

دعا الفتى أمه وأخته إلى العرس، وزوّجت أخته لابن الوزير. تواصلت الأفراح أربعين يوماً وأربعين ليلة، أما السعادة فقد دامت حتى آخر العمر.

العمامة السحرية، والسوط السحري، والسجادة السحرية

عاش ذات مرةٍ أخوان يتيمان. وبإرثه من بعد أبويه، افتتح الأخ الأكبر دكاناً، أمّا الأخ الأصغر فقد بدَّد نصيبه في الملذات الحمقى. وأخيراً حلَّ اليوم الذي لم يعد فيه لهذا الولد أي مال، فذهب إلى أخيه ورجاه أن يعطيه قليلا من النقود. أنفق ما أعطاه أخوه وعاد يريد المزيد. واستمر على هذه الحال حتى أدرك الأخ الأكبر أنه إن أراد أن ينقذ ما تبقى له من إرث فإن عليه أن يبيع دكانه ويرحل إلى مصر.

أدرك الأخ الأصغر نية أخيه، وقبل أن تبحر السفينة، انسل صاعداً إلى ظهرها من دون أن يلحظه أحد ثم اختبأ فيها. أما الأخ الأكبر فقد خشي أن يعرف أخاه الأصغر بما عزم عليه، فتجنَّب أن يُظهر نفسه على المركب. وما كادت السفينة تبحر، حتى صعد الاثنان معاً على ظهرها. أبصر الأخ الأكبر أن خطته قد فشلت، وأن أخاه الأصغر سيظل عبئاً يثقل كاهله.

غضب الأخ الأكبر دون جدوى، فقد كانت السفينة تحملهما معا إلى مصر. وبعد أن نزلا من السفينة، قال الأخ الأكبر لأخيه: «ابق هنا حتى آتي ببغالٍ تقلنا إلى غايتنا».

جلس الأخ الأصغر على الشاطئ ينتظر عودة أخيه، لكن أخاه لم يرجع. حدَّث نفسه قائلاً: «لسوف أبحث عنه»، ثم مضى يبحث عن أخيه.

كان يسير بخطوات قصيرة وخطوات طويلة وظل يترحَّل هكذا مدة ستة أشهر. وذات يوم استدار ناظراً خلفه فتحقق أنه لم يقطع سوى مسافة قصيرة. عندئذٍ أخذ يمشي بخطوات طويلة مدة ستة أشهر أخرى، جامعاً معه البنفسج إلى أن وصل إلى أسفل أحد الجبال. وهنا وجد ثلاثة رفاق يتجادلون، فذهب إليهم وسألهم عن سبب اختلافهم. قال له أكبرهم: «نحن أبناء أب واحدٍ، ولم يمض على وفاته سوى فترة قصيرة. وقد ترك لنا عمامةً وسوطاً وسجادة صلاة. من وضع العمامة على رأسه صار غير مرئيّ. ومن جلس على السجادة وفرقع بالسوط طار كالطائر. فمن يأخذ العمامة، ومن يأخذ السوط، ومن يأخذ السجادة؟ هذا هو السبب في جدلنا المتواصل».

وصاح الثلاثة: «هذه الأشياء الثلاثة يجب أن تعطى لواحدٍ منا».

«أنا الأكبر، وهي تخصني وحدي».

«لا، بل تخصني أنا، أنا الابن الثاني».

«أوه، لا، الأصغر، الأصغر هو الأحق بها».

وبالكلمات والعصي راح الأولاد ينهالون على بعضهم بعضاً بعنف ودونما رحمة لدرجة أن هذا المسرف المتلاف وجد صعوبة بالغة في الفصل بينهم.

قال: «ليس هكذا. سوف أصنع سهماً من قطعةٍ خشبية ثم أطلقه. وستجرون أنتم بعده ومن يرجع به إليّ يصيرُ هو المالك للأشياء الثلاثة».

انطلق السهم وانطلق الإخوة الثلاثة بعده. وبينما هم كذلك، كان صاحبنا المسرف المتلاف يحدث نفسه: «ليس عليَّ سوى أن أضع العمامة على رأسي، وأجلس على السجادة، وأفرقع بالسوط، وفي رفّة جفن سأكون حيث هو أخي». أن تفكر يعني أن تفعل، وقبل أن يدرك وجد نفسه عند مدخل مدينة كبيرة.

وما أن وصل إلى المدينة حتى أعلمه واحدٌ من بطانة السلطان أن ابنة السلطان تختفي كل ليلة. ومن يقدر على اكتشاف ما يحدث لها فإنها تصير له زوجة ويعطى نصف المملكة. قال الفتى المتلاف: «أنا سأحل هذا اللغز. خذني إلى السلطان. وإن أنا أخفقت، فها هو رأسي!»

أُخذ الفتى إلى قصر السلطان، وفي المساء وقف بباب غرفة نوم الأميرة وبقي منتظراً بعين مفتوحة على أيّ شيء يحدث. انتظرت الأميرة حتى ظنت أنه قد غرق في النوم، ثم تلفتت يميناً وشمالاً بحذر. بدا أن الفتى كان قد نام نوماً عميقاً، لكن، ولمزيد من التأكد، وخزت الفتاة باطن قدميه بدبوس، ولما لم يتحرك، أخذت الشمعة بيدها ومضت خلسةً من باب جانبي.

وضع الفتى العمامة على رأسه ونهض ولحق بالفتاة. ولما صار في الخارج أبصر أمامه عربيّاً على رأسه طستاً ذهبياً وقد جلست فيه الأميرة. وفي الحال نطَّ الفتى المتلاف إلى الطست وكاد يلقي به. دهش الجنيّ وسأل الفتاة عمّا تفعله لأنه كان على وشك أن يوقعها أرضاً. قالت: «أنا لم أحرك إصبعاً. إنني أجلس في الطست تماماً كما وضعتني أنت».

حين خطا الجنيّ بضع خطوات، أدرك أن الطست كان أثقل من المعتاد. (لقد كان الفتى فيه بطبيعة الحال من دون أن يُرى إذ كان واضعاً العمامة السحرية على رأسه) سأل الجنيّ: «ما الذي حدث لك اليوم؟ إنك اليوم ثقيلة جداً لدرجة أنك توشكين أن تسحقيني».

أجابت الفتاة: «لا شيء، يا رفيقي. لست أثقل ولا أخف».

هزَّ الجنيّ رأسه متشككاً ومضى حتى وصل حديقةً رائعة كانت أشجارها مثقلة بالفضة والماس. سلخ الفتى المتلاف غصناً ووضعه في جيبه فأخذت الشجرة تتنهَّد قائلة: «لقد آذانا مخلوق بشري! لقد آذانا مخلوق بشري!».

تحيَّر الجنيّ والأميرة ولم يدريا ماذا يفعلان وبماذا يفكران. وواصلا ارتحالهما حتى وصلا إلى حديقة ثانية كانت أشجارها من الذهب والأحجار الكريمة. وهنا قطف الفتى غصناً وجعلت الأشجار كلها تضجّ بصوتٍ عالٍ اهتزت له السماء، قالت متشكيةً: «لقد آذانا مخلوقٌ بشري!».

ذهل الجنيّ من الحيرة.

ووصلا الآن إلى جسرٍ عبراه وبلغا قصراً كانت فيه أعداد كبيرة من الخدم تنتظر الأميرة وقد عقدوا أذرعتهم في صدورهم وانحنوا إلى الأرض. نزلت الأميرة من الطست واطئةً جسد الجنيّ ومنه إلى الأرض. أحضر لها العبيد خفّاً مطرّزاً بالجواهر، فالتقط الفتى المتلاف أحد الخفين ووضعه في جيبه. لبست الأميرة فردة الخفّ وراحت تبحث عن الفردة الأخرى، دون جدوى.

دخلت إلى القصر غاضبة وتبعها الفتى واضعاً العمامة على رأسه وممسكاً بالسوط والسجادة في يديه. دخلت الفتاة إلى جناح حيث وجدت فيها عفريتاً تلامس شفتاه السماء والأرض. سأل أين كانت لأمدٍ طويل. أخبرته عن الفتى الذي عُيِّن لمراقبتها. غير أن العفريت خفَّف عنها وأكّد عليها ألاَّ حاجة لأن تقلق.

جلسا معاً وأحضر الشراب أحد العبيد في كؤوس مطعمة بالماس. عندما مدَّت ابنة السلطان يدها لتأخذ أحدها، خبط الفتى ذراع الخادم فأسقط الكأس وانكسر. التقط الفتى كسرةً ووضعها في جيبه. صاحت ابنة السلطان: «ألم أقل لك ألاَّ شيء يسير على ما يرام اليوم؟ لن أتناول أي شراب، ولن أتناول شيئاً. وسأعود إلى البيت».

هدَّأها العفريت وأمر بإحضار طعام آخر يجيء به خادم آخر. وضعت المائدة وعليها أطباق شتى، وبينما يأكلان، أخذ الفتى الجائع يأكل معهم. وكاد أن يغمى على العفريت وزائرته من شدة الخوف عندما تبينا أن شخصاً ثالثاً لا مرئياً هو ضيفٌ عليهما.

صار العفريت الآن مضطرباً مشّوشاً تماماً وبخاصة عندما وجد أن كثيراً جدّاً من الكؤوس والحلويات قد اختفت. فنصح هو نفسه ابنة السلطان أن تعود إلى البيت في ذلك اليوم قبل الموعد المعتاد. ولما اقترب ليقبلها قبلة الوداع فصل بينهما الفتى غير المرئي.

انتابهما الشحوب معاً واستدعيا المرافق. جلست الفتاة على الطست وأمرت العبد أن يأخذها إلى البيت. التقط الفتى المتلاف بسرعة سيفاً من الحائط وفصل به رأس العفريت عن جسده. ولما سقط الرأس إلى الأرض اهتزت السماء والأرض وتعالى النواح والعويل: «ويلٌ لنا! لقد قَتَل مخلوقٌ بشريٌّ ملكنا!». وحتى الفتى المتلاف كان خائفاً إذ لم يكن يدري أين هو. وبسرعة مدَّ سجادته وفرقع سوطه. وعندما عادت ابنة السلطان دهشت إذ وجدت الفتى خارج باب حجرتها ويبدو غارقاً في نوم عميق يُصدِر شخيراً عالياً.

صاحت الأميرة غاضبة متذمرة في عنف: «أيها الخنزير الفضولي! لقد تسببت لي اليوم بما يكفي من التعاسة».

قالت ذلك ووخزت باطن قدميه مرةً ثانية بالدبوس، ولما لم يعط إشارة ظنَّت أنه غارق في سبات عميق.

في الصباح التالي دُعي الفتى المتلاف وسُئل إن كان قد وجد حلاً للمشكلة الغامضة عن اختفاءاتها الليلية. وإن لم يكن قد وجد حلاً قُطِع رأسه. أجاب: «إني أعرف كل شيء، لكني لن أخبركم، خذوني إلى السلطان».

أخذوه إلى السلطان ووعد أن يطلعه على كل شيء إن هو جمع كل السكان في المدينة. وقال محدثاً نفسه: «بهذه الطريقة أستطيع العثور على أخي».

جاء سكان المدينة عن بكرة أبيهم وتجمعوا في ساحة السوق حيث جلس السلطان وابنته على المنصة. وقريباً منهما وقف الفتى المتلاف يحكي مغامرته من البداية حتى النهاية. كانت الأميرة تقاطعه باستمرار قائلةً: «لا تصدقه، يا أبي. هذا غير صحيح!».

وهنا أخرج الفتى من جيبه غصني المجوهرات، وفردةَ الخفّ الذهبي، والطبق الثمين، ولما كان يصف مقتل ملك العفاريت لمح منظر أخيه وسط الحشد، فتوقف عن الكلام، ولم يعد يسمع شيئاً، بل قفز والتحق بأخيه. وعندما عاد إلى موضعه هو وأخوه توسل إلى السلطان أن يزوج الأميرة أخاه ويمنحهما نصف المملكة. أما هو فتكفيه العمامة السحرية، والسوط السحري والسجادة السحرية، إذ بهذه الأشياء يمكنه أن يكسب رزقه. رغبته الوحيدة كانت أن يظل إلى جوار أخيه.

سرَّت ابنة السلطان بموت ملك العفاريت الذي أثَّر عليها بسحره. أما الآن وقد أُبطل ذلك السحر، فلم تعد تشعر بشيء سوى بالمقت الشديد لذلك العملاق، وبالبهجة الفائقة لتحررها، صارت راغبة تماماً أن تصير زوجة لأخي الفتى المسرف المتلاف. وأُقيمت احتفالات عرسهما ودامت أربعين يوماً وأربعين ليلة. لقد كنت هناك أيضاً، ولما طلبت من الطباخ أن يأتيني بطبق من الطعام الشرقي المحشو بالأرز واللحم والتوابل لكمني لكمة قوية على يدي لدرجة أنها صارت ضعيفة معطوبة حتى الآن.

محمد ذو الرأس الأصلع

لما كان الجمل رسولاً، وكان الضفدع يستطيع الطيران، ولمّا اعتدت أنا أن أتجوّل صاعداً جبلاً وهابطاً وادياً، حينها عاش أخوان معاً إلى جوار أمهما وفقرهما، كان معهما مجموعة من المواشي ورثاها عن أبيهما. وذات يوم أفصح الأخ الأصغر الذي كان أصلعاً عن رغبته في تقسيم تركتهما المتواضعة. قال لأخيه: «كما ترى هذان الإصطبلان، أحدهما جديد تماماً والآخر صار عتيقاً بالياً. دعنا نفك الأبقار، والأبقار التي سترجع إلى الإصطبل الجديد تكون لي والأبقار التي تعود إلى الإصطبل القديم تكون لك».

ردَّ الأخ الأكبر قائلاً: «لا، يا محمد. الأبقار التي سترجع إلى الإصطبل القديم هي لك».

وافق محمد. وأطلق سراح الأبقار، وعادت كلها إلى الإصطبل الجديد ما عدا واحدة عمياء هزيلة. لم يقل محمد كلمة شكٍ واحدة ولم يظهر أي علامة عدم رضا، بل راح يسوق بقرته الهزيلة العمياء كل يومٍ إلى المرعى ويعود بها مع المساء بانتظام.

وذات يوم، بينما كان جالساً إلى جانب الطريق هبت الريح بعنف فحركت فروع الأشجار بشدةٍ جعلتها تطقطق وتنحني. فقال محمد مخاطباً الشجرة: «هه، أيتها المطقطقة، هل رأيتِ أخي؟».

من الواضح أن الشجرة لم تسمع، بل أخذت تطقطق بصوتٍ أعلى. أعاد محمد سؤاله، ولم تجب الشجرة أيضاً على الرأس الأصلع فثار والتقط فأسه وتقدَّم ليقطعها. لكن، واعجباه! لقد انصبَّت قطعٌ ذهبية كثيرة من الجذع المجوّف من خلال تلك الفتحات التي أحدثها. وللاستفادة مما يمتلكه محمد من إدراك، ذهب إلى البيت واستعار ثوراً من أخيه الأكبر وشدَّه إلى عربة وأخذ جوالات ملأها بالتراب ثم ذهب بها إلى الشجرة. ولما وصل أفرغ التراب من الجوالات وملأها بالذهب. وفي طريق عودته حيَّر أخاه بما أراه من ثروةٍ هائلة.

كان الأخ الأصغر ثانية يرغب بشدة بالقسمة فلم يعترض الأخ الأكبر حيث لم يكن لديه اعتراضٌ هذه المرة. استعار ميزاناً من أحد جيرانه مسبِّباً له الحيرة الشديدة، إذ ما الذي لدى هذا الغبي ليزنه. طلا الجار الميزان بمادة دبقة، ولما أعاد الرأس الأصلع الميزان كانت قطعة ذهبية قد لصقت به. فحكى الجار الحكاية لشخص آخر، وحكاها هذا لثالث، وخلال وقتٍ قصير صار كل من في القرية يعرف بما أصاب محمد من حظ.

حصول الأخوين على ذلك القدر الكبير من الذهب بطريقة عرضية سبب لهما المزيد من الحيرة. لم يدريا ماذا يفعلان به. وفيما بعد، أخذا مجرفتين وحفرا حفرة عميقة ودفنا النقود وأسرعا يغادران موطنهما. وبعد أن غادرا، ظن الأخ الأكبر أنه لم يغلق باب البيت، فأرسل الأخ الأصغر ليتأكد من ذلك. وحين وصل إلى البيت أراد محمد أن يتأكد من سكوت أمه، لذلك غلا قدراً من الماء ووضع المرأة العجوز بداخلها وأبقاها هناك حتى لم تعد تصدر أي صوت. عندئذٍ أخرجها وأسندها على الجدار بمكنسة ووضع باب الدار على ظهره ومضى إلى أخيه في الغابة.

عندما رأى الأخ الأكبر الباب فهم ما حدث لأمه وصار في غاية الغضب من الرأس الأصلع الذي أخذ يمدح نفسه لأنه قد فعل شيئاً في غاية الذكاء وهو إحضار الباب وبذلك منع أي شخصٍ من فتحه. أمسك الأخ الأكبر أخاه من تلابيبه وجعل يهزُّه بعنف. وفي حين كان يفكر بما ينبغي فعله لاحقاً، أبصر ثلاثة فرسان على ظهور الجياد. خاف الأخوان أن الفرسان يتعقبونهما فلاذا هاربين وتسلقا شجرة حاملين الباب معهما. ولمَّا كان الظلام قد حل لم يُكتشفا. اعتقد محمد أنهما كانا محظوظين بنجاتهما، وعليه فقد ترك الباب يسقط واقعاً على رأس أحد الفرسان الذي كان يمر من تحت الشجرة.

همز الفارس حصانه وانطلق هارباً صارخاً: «الرحمة بنا! إنها نهاية العالم!».

وبعد بضعة أيام من هذه المغامرة، رأى الأخ الأكبر أنه قد نال ما يكفيه من متاعب أخيه الأصغر التي لا يمكن فهمها أو التنبؤ بها، وفي السر هجره وتخلىّ عنه. ترى، ما الذي سيفعله محمد الآن؟ لقد صار وحيداً في هذا العالم، فراح يتجول مرهقاً جائعاً حتى وصل إحدى القرى. ووقف بباب الجامع يتسول الناس النقود والطعام من المارة.

مر به رجل قصيرٌ ذو لحيةٍ خفيفة وهو خارجٌ من الجامع، فأبصره وسأله إن كان يحب أن يعمل خادماً عنده. ردَّ محمد: «نعم، إن أنت وعدتني ألاّ تغضب عليَّ مهما حدث. فإن غضبت عليَّ صار لي الحق أن أقتلك، وإن غضبتُ عليك صار لك الحق أن تقتلني».

ولما كان من الصعب أن تجد خادماً في تلك المنطقة، فقد وافق الرجل على هذا الشرط العجيب الغريب.

أخذ الرأس الأصلع يقوم بواجباته في ذبح طيور سيده وأغنامه. ويسأل: «هل أنت غاضب مني، يا سيدي؟». فيجيب الرجل خائفاً مذعوراً: «لا، بالطبع لا. ولماذا أغضب؟».

كانت واجبات محمد، على أي حال، هي الجلوس في البيت من دون أن يفعل شيئاً.

صارت الزوجة في غاية الرعب من أن الرأس الأصلع ذات يوم سيذبحها بعد أن يفرغ من الطيور والأغنام، ولكي تنجو من هذا الرجل المجنون، أقنعت زوجها أن تغادر وإياه سراً في قلب الليل. غير أن محمداً سمع بنيَّتهما، فأخفى نفسه في متاعهما ولما صارا في قرية أخرى وفتحا المتاع خرج منه. تشاور الرجل وزوجته وقررا أن يناموا جميعاً في الليل على الشاطئ. وهناك سينتهزان الفرصة ليرمياه في البحر وهو نائم. لكن محمداً كان يتمتع بدهاء شديد مكنّه من رمي المرأة في البحر بدلاً من أن ترميه هي وزوجها. وسأل الزوج: «هل أنت غاضب مني، يا سيدي؟».

ردَّ الرجل صائحاً: «ولماذا لا أغضب منك، أيها المتشرد؟ إنك لم تبدِّد أملاكي وتحيلني إلى متسوِّل وحسب، لكنك الآن حرمتني أيضاً من زوجتي!».

وهنا، أمسك الرأس الأصلع بالرجل وأخذ يذكِّره بشرط توظيفه له ثم ألقاه في البحر ليلحق بزوجته.

وصار محمد مرة ثانية وحيداً شريداً في هذا العالم متسكعاً يشرب القهوة ويدخن الغليون. ووجد يوماً قطعة نقدية اشترى بها بعض بذور الحمُّص. وبينما كان يأكله وقعت عَرَضاً واحدةٌ منها إلى داخل البئر. فبدأ محمد يبكي صائحاً: «أنا أريد بذرتي، أنا أريد بذرتي».

هذا الخوار العالي استدعى إلى السطح جنياً بشفتين هائلتين تلمس أحدهما السماء وتلمس الأخرى الأرض. قال الجنيّ محدثاً الرأس الأصلع: «ما هو مطلبك؟».

فصرخ محمد: «أنا أريد بذرتي! أنا أريد بذرتي!».

اختفى الجنيّ في البئر ثم عاد ثانية ممسكاً بيده سُفرة صغيرة أعطاها للرأس الأصلع قائلاً: «عندما تكون جائعاً، قل: امتدي أيتها السُّفرة! وعندما تشبع، قل: كفى، أيتها السفرة!».

أخذ محمد السفرة وعاد إلى القرية. وكلما عضه الجوع، لم يكن عليه إلا أن يقول: «امتدي، أيتها السفرة!»، فتكون أشهى الأطباق وأغلاها موضوعةً أمامه لدرجة أنه لم يكن يدري بأيّها يبدأ. وفي نشوته هذه، فكر قائلاً يحدث نفسه: «كم أود أن يرى القرويون هذا!»، ولذا دعاهم كلهم لتناول العشاء ولما وصلوا لم

يصروا ناراً ولا طعاماً، فظنوا أن مضيفهم يمزح معهم. غير أن صاحبنا أحضر سفرته الصغيرة وقال: «امتدي، أيتها السفرة!». وسرعان ما كانت الوليمة معدة في الحال. أكل الجميع حتى شبعوا، وعادوا إلى بيوتهم شاعرين بالحسد تجاه جارهم الرأس الأصلع، وشرعوا يحيكون له أصناف الأحابيل كي يحرموه من كنزه المدهش. وفي نهاية الأمر، أجمعوا على أن يتسلّل واحدٌ منهم إلى منزل محمد أثناء غيابه ويسرق السُّفرة السحرية.

مهما يكن، فقد شعر محمد بقرص الجوع مرة أخرى. فماذا باستطاعته أن يفعل؟ ذهب إلى البئر وبدأ يصرخ: «أنا أريد بذرتي! أنا أريد بذرتي!».

فظهر الجنيّ وقال: «أين هي السفرة؟».

«لقد سرقت!».

غاص الجنيّ ذو الشفتين الهائلتين إلى البئر، ثم عاد بمطحنةٍ يدويّة. أعطاها للرأس الأصلع وقال: «أدرها يميناً – ذهب، أدرها شمالاً – فضة».

أخذ صاحبنا المطحنة إلى البيت وأدارها مرات عديدة يميناً وشمالاً حتى امتلأت حجرته بالنقود. لقد صار الآن أثرى من

أي إنسانٍ عرفته القرية عبر تاريخها كله. وعرف أهل القرية ببعض أخبار المطحنة الثمينة.

ثم حلَّ اليوم التي فقدت فيه المطحنة. وذهب الرأس الأصلع إلى البئر مرةً أخرى صارخاً: «أنا أريد بذرتي! أنا أريد بذرتي!».

صعد الجنيّ وسأل: «أين هي السفرة والمطحنة؟».

ردَّ الرأس الأصلع نائحاً: «كلاهما سرقتا مني!».

نزل الجنيّ إلى البئر وظهر ثانيةً ومعه هراوتان غليظتان أعطاهما لبطلنا محذراً إياه بصرامةٍ ألاَّ يقول غير هذه الكلمات «أيتها الهراوتان، اقبلا معاً!».

أخذ محمد الهراوتين واختبرهما. ولرغبته القوية في معرفة تأثيرهما، صاح: «أيتها الهراوتان، أقبلا معاً!».

وعلى الفور، طارتا معاً من يديه وأخذتا تضربانه ضربا مبرحاً بلا رحمة. صاح متوجعاً: «توقفا أيتها الهراوتان! توقفا!». وسرعان ما تغلَّب على هذه المباغتة وكفتا عن ضربه. وعلى الرغم من أن بدنه كان متورماً وكان يعاني من الآلام، إلا أن محمداً كان مسروراً لأنه عرف سلفاً كيف يستخدم هراوتيه.

عاد مسرعاً إلى البيت، ودعا كل القرويين إلى منزله من دون أن يبوح بسبب دعوته لهم جميعاً. جاءوا متشوقين، يطغى عليهم حب الاستطلاع لمشاهدة شيءٍ مدهش جديد سيريهم إياه. وفي اللحظة الموعودة قدَّم محمد الهراوتين، وما أن تفوَّه بـ«أيتها الهراوتان، اقبلا معاً!» حتى انهالت الضربات العنيفة على رؤوس الضيوف. أخذوا يتصايحون طالبين الرحمة لكن محمداً لم يتحمس للتلفظ بالجملة التي تكف الهراوتان بهما عن الضرب حتى وعدوا جميعاً بأن يعيدوا إليه السفرة والمطحنة. وسرعان ما أعيدتا واستعيد السلام.

أخذ الرأس الأصلع هداياه السحرية الثلاث وذهب إلى مسقط رأسه حيث التحق بأخيه. أما الآن وقد صار حكيماً وغنياً، تزوج بطلنا هو وأخوه وعاشا حياةً سعيدة. ومنذ ذلك الحين لم يعد هناك في القرية متعقلاً أكثر من محمد ذي الرأس الأصلع.

عفريت العاصفة

نطَّ قِطّان نطَّةً عالية، وطار الضفدع بجناحيه، وسقطت عمة البرغوث، ووقعت الصخور عليها. كان الديك إماماً، والبقرة حلاقاً، ورقصت فراخ الوز، كل هذا حدث في وقتٍ كان السلطان فيه شيخاً.

هذا السلطان الشيخ كان له ثلاثة أولاد وثلاث بنات. وذات يوم، سقط مريضاً، وعلى الرغم من كل الحكماء والأطباء الذين أحاطوا به فإن حالته لم تتحسن. أرسل في طلب جميع ابنائه وقال لهم: «عندما أموت فالذي يصير سلطاناً منكم هو الذي يبقى مراقباً لقبري ثلاث ليالٍ. أما عن بناتي، فزوجوهن لأول من يطلبهن».

ومات ودفن في مراسيم واحتفالات عزاء تليق بمكانته.

ولكيلا يمر وقت طويل على المملكة من دون سلطان، ذهب الابن الأكبر إلى قبر أبيه، ومدَّ سجادته وصلى هناك حتى منتصف الليل، وبعد ذلك انتظر صابراً حتى مطلع الفجر. غير أن ضجةً

مرعبة نشبت فجأة في الظلام، هبَّ الفتى المرعوب واقفاً وأطلق ساقيه للريح هارباً من دون توقف ولائذاً بالبيت.

وفي اليوم التالي، ذهب الابن الثاني إلى المقبرة وجلس هناك ثم فرَّ هارباً عائداً إلى البيت بأسرع ما استطاعت قدماه أن تطيعانه.

والآن جاء دور الابن الثالث. أخذ خنجراً ووضعه تحت حزامه وذهب إلى المقبرة. وعند منتصف الليل نشبت تلك الضجة الهائلة المرعبة التي بدا وكأن السماء والأرض اهتزتا بسببها. سار الفتى نحو مصدر الضجة، وإذا به وجهاً لوجه مع تنِّين هائل. سحب خنجره وغرزه في جسد التنين بكل قوته. لم يتبق للغول الضخم سوى القليل من القوة تمكن معها أن يصرخ قائلاً: «إن كنت شجاعاً حقاً فاطعنِّي مرةً ثانية».

أجابه الأمير الأصغر: «لست أنا!» على الفور مات التنين. ودَّ الأمير أن يقطع أذنيه وأنفه لكنه لم يستطع أن يرى في الظلام، وعندما كان يفكر فيما يفعله لَحَظ ضوءاً في البعيد. مضى صوب الضوء وحين اقترب منه أبصر عجوزاً في الركن. كان مع هذا الرجل كرتان من القنَّب في يده، أحدهما سوداء والأخرى بيضاء. أخذ الرجل يحرك الكرة السوداء في الهواء في حين جعل الكرة البيضاء تدور وهي على الأرض.

سأل الأمير: «ما الذي تفعله، يا أبي؟».

ردَّ الرجل: «هذه وظيفتي، يا بني، أنا أختم الليل وأجعل النهار يدور».

قال الأمير: «وظيفتي أكثر صعوبة من وظيفتك، يا أبي».

قال ذلك، وربط الشيخ حتى يقيِّد النهار، ثم ذهب يبحث عن الضوء. وصل أخيراً إلى إحدى القلاع ووجد تحت أسوارها أربعين رجلاً يعقدون مجلساً.

سأل الأمير: «لِمَ أنتم مجتمعون؟».

ردُّوا: «نحن نودُّ أن نقتحم القلعة لنسرقها، لكنَّا لا ندري كيف».

قال الأمير: «أنا سأساعدكم إن أنتم أعطيتموني ضوءاً».

وعده اللصوص أن يفعلوا بترحيب. أخذ مسامير وثبتها في السور بدءاً من الأرض وحتى السقف، ثم تسلق عليها ونادى داعياً الرجال أن يتسلقوا الواحد بعد الآخر. ولما صعدوا واحداً فواحداً كان الفتى يحتزُّ رؤوسهم ثم يقذف بأجسادهم إلى الفناء حتى تخلَّص منهم جميعاً. وبعد أن فرغ من هذه المهمة دخل

إلى القلعة حيث أبصر في فنائها قصراً بديعاً. فتح الباب وأبصر أفعى ملتفة حول عمود بجوار السلَّم. طعنها بسيفه لكنه نسي أن يسحبه فظل ملتصقاً بجسدها. صعد درجات السلم ودلف إلى حجرةٍ تنام فيها فتاة فائقة الجمال. أغلق الباب ونظر إلى حجرةٍ أخرى ووجد فتاةً أخرى هي أجمل من الأولى. ثم أغلق الباب أيضاً ودخل إلى حجرةٍ ثالثة مغطاة كلها بالحديد وبها فتاة جميلة نائمة، كانت هذه فتاة فاتنة فوقع في حبها ألف مرة.

أغلق الآن هذا الباب أيضاً، وتسلق سور القلعة ثم هبط إلى الجانب الآخر بواسطة المسامير. حينئذٍ اتجه إلى الشيخ ذي اللحية البيضاء الذي سبق له أن ربطه. صاح الشيخ قبل أن يصل الفتى إليه: «يا بني، لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟ لقد صارت أضلاعي تؤلمني بسبب طول المدة التي تركتني فيها موثقاً».

أطلق الفتى سراحه فأخذ الرجل يدحرج الكرة البيضاء أكثر فأكثر.

عاد الفتى إلى التنين وقطع أذنيه وأنفه ووضعها في جيبه. واتجه الآن إلى القصر حيث كان أخوه الأكبر قد نصِّب سلطاناً. لم يقل شيئاً عن مغامرته، بل ترك الأمور تأخذ مجراها. بعد فترة، أقبل أسدٌ إلى القصر وظهر أمام السلطان الذي سأله عما يريد. أجاب الأسد: «أريد أن أتزوج أختك الكبرى».

ردَّ السلطان: «لا يمكنني أن أزوجها إلى وحش».

وكان الأسد على وشك أن يُطرد خارجاً لو لم يذكره الأمير الأصغر قائلاً:

«لقد طلب منا أبونا أن نزوجها لمن يطلب الزواج منها».

وبعد أن قال ذلك أخذ بيدها وسلمها إلى الأسد الذي خرج معها.

في اليوم التالي، جاء نمرٌ وطلب الزواج من ابنة السلطان الثانية. لم يرد الأخوان الأكبران أن يزوجاها للنمر، لكن أخاهما الأصغر تحداهما طالباً منهما أن ينفذا وصية أبيهم، ومن ثم سلِّمت الأخت الثانية للنمر.

وفي اليوم الثالث حلَّق طير فوق القصر وهبط طالباً الأميرة الصغرى. رفض السلطان وأخوه مرةً ثالثة، لكن أخاهم الأصغر أصر على تزويجهما للطائر، وفي النهاية طار الطائر بعيداً بصحبة الفتاة. لقد كان الطائر هو سلطان طيور العنقاء الزمرديَّة.

سنرجع الآن إلى القلعة.

وهنا عاش سلطان أيضاً وكانت له ثلاث بنات. خرج ذات مرةٍ في الصباح الباكر فشعر أن في القصر شخصاً ما. مرَّ إلى الفناء، وقريباً من درجات السلَّم لمح الأفعى الهائلة، وقد فُصلت إلى جزءين بالسيف. وواصل سيره فأبصر الأربعين جثة. دهش وقال: «ما من عدوٍ يمكن أن يفعل ذلك، بل صديق. لقد أنقذنا من اللصوص ومن الأفعى. وهذا السيف هو لصديق حميم من أصدقائنا، لكن من هو؟».

واستشار أحد بطانته بهذا الخصوص. قال له الوزير: «لا نستطيع أن نعرف إلاّ إذا أعددنا وليمة عظيمة ودعونا الهيا كلّ الناس. وعلينا أن نراقب كل الضيوف بحرصٍ شديد، ومن كان يحمل غمد السيف ذاك، هو صديقنا».

وهكذا أمر السلطان أن تُعدّ الوليمة ووجهت الدعوة لكل الناس.

تواصلت الوليمة أربعين يوماً وأربعين ليلة. وذات يومٍ قال الوزير: «لقد أتى كل الناس إلى الوليمة باستثناء ثلاثة أمراء».

ولذلك، أرسل في دعوة الأمراء الثلاثة، وعندما جاءوا، لوحظ أن الأصغر يحمل الغمد الخاص بالسيف. فأرسل السلطان في طلبه على الفور، وقال: «لقد قدَّمت لي خدمةً عظيمة، ماذا عساني أن أقدمه لك ردّاً للجميل؟».

ردَّ الأمير: «لا أقل من ابنتك الصغرى».

تنهَّد السلطان قائلاً: «يا ويلي، يا بني! لو أنك لم تطلبها، لكانت مملكتي وتاجي ملكاً لك، لكن، لا تسأل طالباً إيّاها!».

ردَّ الأمير: «إن أنت وهبتني الفتاة فإني سأقبلها، ما لم فلا أريد شيئاً».

ترجّاه السلطان محزوناً: «يا بني، سأهبك ابنتي الكبرى، سأهبك ابنتى الثانية، لكني لا أجرؤ على الانفصال عن ابنتي الصغرى. لقد طلبها عفريت العاصفة ولأني قد رفضت تزويجها منه فقد اضطررت أن أضعها في غرفة حديدية حتى لا يقترب منها هذا العفريت. إن عفريت العاصفة هو من القوة إلى درجة أنه لا يمكن لمدفع أن يصيبه بأذى، وما من عين يمكن أن تستوعبه، إنه يظهر كالريح ويختفي كالريح».

عبثاً ألحَّ السلطان على الأمير الفتى لكي يتخلى عن قراره ويبقي نفسه بعيداً عن الأذى؛ لكن الأمير لم يُصغ. ولما رأى السلطان أن مبرراته كلها كانت غير مجدية، رغم المحاولة والجهد، تراجع عن رفضه وتم العرس. وتزوج الأخوان الأكبران الأختين الأخريين ثم عادوا جميعاً إلى بلادهم، في حين بقي الأخ الأصغر لكي يحمي زوجته من شرور العفريت.

وهكذا عاش الأمير في سعادة مع زوجته الجميلة لبعض الوقت. قال لها ذات يوم: «يا عزيزتي، لقد مرَّ وقت طويل لم ابتعد فيه عنك. وإني أود أن أذهب للصيد لساعةٍ واحدة فقط».

قالت: «أوه، يا ويلي! يا ملكي، إني أعلم تماماً أنك إن تركتني لحظة فإنك لن تراني ثانية».

لكنها بعد طول تمنُّع وافقت. وأخذ هو أسلحته وذهب إلى الغابة. ووجد عفريت العاصفة الآن الفرصة التي انتظرها طويلاً. لقد كان يخشى الأمير الشجاع، ولم يجرؤ على أخذ الأميرة وهي بقربه؛ أما الآن وقد غادر الأمير فقد دخل عفريت العاصفة وحمل الفتاة ومضى.

عاد الأمير بعد وقت قصير ولم يجد زوجته. أسرع إلى السلطان، لكن العفريت كان قد سرق زوجته ولم يعثر عليها في أي مكان. بكى وندب بقسوة ملقياً بنفسه إلى الأرض. عندئذٍ نهض وامتطى جواده المطهم ومضى ليستعيد زوجته أو يموت في محاولته.

جاب الأصقاع لأيام وأسابيع من دون أن يهدأ أو يستريح يستحثه حنقه وأساه. وبعد بحث طويل لمح قصراً وإن على نحو غير واضح لدرجة أنه بالكاد يمكن القول إنه رآه. كان ذلك القصر هو قصر أخته الكبرى. كانت الأميرة تتطلع من النافذة وتعجبت لمنظر كائن بشري في منطقتها حيث لا وجود حتى لطير يطير أو قافلة تسير. تعرَّفت على أخيها، وعندما قابلته وقد طغت عليها البهجة لدرجة أنهما ظلا صامتين يقبلان ويعانقان أحدهما الأخر.

وفي المساء قالت الأميرة للأمير: «سيعود زوجي الأسد في الحال، ومع أنه يعاملني على نحوٍ طيب، فهو وحش على أي حال، وربما آذاك».

ولذلك خبَّأت أخاها.

وحين وصل الأسد جلست الأميرة وإياه معاً يتحادثان، وسألته ماذا عساه يفعل لو أن أحد إخوتها قدِم إليهما. أجاب زوجها: «إن جاء الأكبر فسأقتله بضربةٍ واحدة، وإن جاء الثاني، فسأقتله أيضاً، لكن لو جاء الأصغر فسآخذه في حضني وأهدهده حتى ينام».

قالت زوجته: «أخي ذاك قد جاء».

صاح الأسد: «إذن، أحضريه إلى هنا بسرعة كي أراه».

ولما وقف الأمير أمامه، لم يدر الأسد ما يفعل من شدة فرحه. سأله متى جاء، وإلى أين هو ذاهب. أخبره الفتى بما حدث له وقال إنه جاء باحثاً عن عفريت العاصفة. قال الأسد: «أنا أعرف اسمه فقط، لكني أنصحك ألاّ تفعل معه شيئاً، لأنك لن تفلح في شيء».

غير أن الأمير كان متوتراً قلقاً لدرجة أنه لم يمكث سوى ليلة واحدة، وفي الصباح الباكر ركب جواده وانطلق. رافقه الأسد لمسافة قصيرة وأراه الطريق الصحيح، ثم سار كلٌّ منهما في طريق.

ارتحل الأمير حتى وصل إلى قصر آخر هو قصر أخته الثانية. أبصرت رجلاً قادماً في الطريق فتعرفت عليه على الفور، إنه أخوها، فجرت لمقابلته بشوق بالغ وقادته إلى القصر. انقضت الساعات سريعاً وبسعادة فائقة، وحل المساء. فقالت الأميرة: «سوف يصل زوجي النمر في الحال. وسوف أخفيك عنه حتى لا ينالك منه أي أذى». ثم أخفت أخاها.

في المساء عاد النمر وسألته زوجته ماذا عساه يفعل لو حدث أن قدم أحد إخوتها لرؤيتهما. قال النمر: «الأخوان الأكبران سأقتلهما، لكن لو جاء الأخ الأصغر فسأجعله ينام على ركبتي».

لذا، أحضرت الأميرة أخاها الأمير، وأظهر النمر بهجة عظيمة لرؤيته.

حكى الفتى للنمر قصته المحزنة وسأل النمر إن كان يعرف عفريت العاصفة، قال: «أعرفه بالاسم فقط». ورجاه أيضاً أن يصرف النظر عن هذا البحث الخطِر. لكن الأمير انطلق مع شروق الشمس مواصلاً بحثه. مضى النمر معه وأراه الطريق وودَّعه وافترقا.

عبر الأمير الصحراء وأبصر شيئاً قاتماً يلوح في البعيد. تقدَّم نحوه متسائلاً عمّا يمكن أن يكون. وشيئاً فشيئاً أدرك أنه قصر أخته الصغرى. لمحته الأميرة من النافذة وأطلقت صيحة فرح: «أوه، يا أخي!».

منحها مجيئه سعادةً لا توصف، وكان سروره برؤية أخواته الثلاث لا يقل عن سرورهن، لكنه كان يفكر بزوجته، وكان قلبه مثقلاً بالحزن.

وفي المساء قالت الأميرة لأخيها: «زوجي الطائر سيصل عمّا قريب. سأخفيك حتى أتأكد كيف سيستقبلك».

ثم أخفت أخاها.

طار طائر العنقاء صافقاً جناحيه محدثاً ضجة عالية. وما كاد يستريح حتى سألته زوجته ماذا عساه يفعل لو أن أحد إخوتها زارها. فقال الطائر: «الأخوان الأكبران سآخذهما بمنقاري ثم أطير بهما إلى السماء وأسقطهما إلى الأرض، أمّا الأصغر فسأخذه تحت جناحي وأدعه ينام».

عندئذٍ نادت الأميرة أخاها. فصاح الطائر: «يا طفلي العزيز، كيف وصلت إلى هنا؟ ألم تصادف ما أخافك في طريقك؟».

أخبره الفتى عن حزنه وطلب من العنقاء أن يأخذه إلى عفريت العاصفة.

قال الطائر: «هذا ليس بالأمر السهل، لكن إن كان عليك أن تقابله، فلن تظفر إلا بالقليل، ولعل من الأفضل لك أن تبقى معنا وتتخلىّ عن غايتك».

قال الأمير بإصرار: «لا، إما أن أحرِّر زوجتي أو أهلك في محاولتي».

ولما رأى الطائر إصراره على المضي نحو غايته، وصف له الطريق إلى قصر عفريت العاصفة قائلاً: «الآن بالضبط هو ميعاد نومه ويمكنك أن تأخذ زوجتك، لكن إن هو استيقظ وأبصرك، انتهى كل شيء. إذ لا يمكنك أن تراه، فما من عين رأته، وما من سيف يمكن أن يؤذيه، لذا، كن حذراً».

وفي اليوم التالي انطلق الشاب وسرعان ما كان أمام قصر هائل لم يكن له أبواب ولا مداخل. كان ذلك هو منزل عفريت العاصفة. كانت زوجته واقفة بجوار النافذة وما أن رأته حتى قفزت إلى الأسفل صائحة: «واأسفاه، يا سلطاني!».

عانقت الأمير، ولم يكن لبهجته حد، ولم تتوقف دموعها، وحين تذكرت العفريت القاسي قالت: «لقد نام منذ ثلاثة أيام. هيا بنا نسرع بالهرب قبل أن تكتمل فترة نومه التي تدوم أربعين يوماً».

امتطت هي أيضاً جواداً وأسرعا منطلقين بعيداً. لم يكادا ينطلقان بعيداً قبل أن تنتهي مدة الأربعين يوماً حتى استيقظ عفريت العاصفة. ذهب إلى غرفة الأميرة وناداها لتفتح الباب كي يرى وجهها لوهلة. ولما لم يجد جواباً شك بحدوث شرٍ لها، ففتح الباب عنوةً ووجد أن الأميرة ليست هناك. قال يحدث نفسه: «إذن، أيها الأمير محمد، لقد كنت هنا وحملت ابنة السلطان! لكن، انتظر قليلاً، وسأقبض عليكما معاً».

جلس هادئاً، وشرب القهوة، ودخّن الغليون، ثم نهض وأسرع ليلحق بهما. ظل الأمير والأميرة يعدوان بجواديهما دون توقف أو راحة، غير أن الأميرة شعرت بقوة الريح وقالت: «أوه، يا ملكي، واأسفاه! لقد جاء عفريت الريح!».

وسقط المارد اللامرئي عليهما، وأمسك بالفتى وكسَّر ذراعيه وساقيه وحطَّم رأسه وعظامه ولم يترك منه عضواً مكتملاً. قالت الأميرة تتوسل العفريت باكيةً: «ما دمت قد قتلته، اسمح لي أن أجمع عظامه وأضعها في كيس لعلي أجد من يدفنها».

لم يعترض العفريت، فوضعت الأميرة عظام الأمير في كيس، ثم قبَّلت جواده في عينيه وربطت الكيس على ظهره وهمست في أذنيه: «يا جوادي، خذ هذه العظام إلى مكانها المناسب».

حمل العفريت الأميرة عائداً إلى قصره غير أن قوة جمالها كانت هائلة إلى درجة جعلت العفريت أشبه بسجين في يديها. رفضت أن تسمح للعفريت بالظهور أمامها فلم يجرؤ أن يُظهر نفسه إلا أمام باب حجرتها.

في تلك الأثناء، ظل الجواد يعدو بعيداً بعظام الفتى حتى توقف أمام قصر الأخت الصغرى حيث صهل بصوتٍ مرتفع جعل الأميرة تخرج لترى ما الخطب. ولما أبصرت الكيس وفيه عظام أخيها أخذت تنتحب بحرقة ورمت نفسها إلى الأرض بعنف كأنها تود أن تحطم عظامها هي. ولم تكد تصبر حتى عودة زوجها طائر العنقاء.

عاد طائر العنقاء الزمردي، سلطان الطيور، صافقاً جناحيه بعنف، وحالما أبصر عظام الأمير البائس محطمة دعا مواطنيه وهم كل طيور العالم مجتمعة وقال: «من منكم كان في جنّة عَدْن؟». وجاءه الجواب: «بومٌ عجوز سبق أن كان هناك ذات مرة، لكنه الآن صار طاعناً في السن لا يقوى على شيء حيث لا يقدر على الحركة».

أرسل العنقاء طائراً من الطيور لاحضار البوم فطار وعاد به يحمله على ظهره. سأله السلطان: «هه! أيها الأب، هل سبق لك أن كنت في جنة عدْن؟».

نعب الطائر العجوز: «نعم، يا بني، لكن ذلك كان منذ أمدٍ طويل جداً قبل أن أبلغ الثانية عشرة من العمر. ومنذ ذلك الحين لم أذهب إلى هناك».

قال سلطان الطيور: «ما دمت قد كنت هناك ذات مرة، فاذهب مرةً أخرى وأحضر لي قنينة صغيرة من الماء».

اعترض البوم العجوز بأنه صار عاجزاً عن الذهاب، والطريق جدّ بعيدة، ولم تعد لديه أي قوة. لكن أعذاره لم تجد نفعًا. أرسله السلطان على ظهر طائر طار به إلى جنة عدن، وجلب الماء وعاد إلى العش.

عندئذ أخذ العنقاء عظام الشاب ووضعها كلها في أماكنها الصحيحة ورشّ عليها ماء الفردوس. شرع الفتى يتثاءب كأنه كان نائماً فحسب واستيقظ من نومه. تلفّت حوله وسأل العنقاء أين هو وأين زوجته. فقال له العنقاء: «ألم أقل لك أن عفريت العاصفة سيمسك بك؟ لقد حطَّم عظامك وقد وجدناها في كيس. والآن، دعه وشأنه وإلا فإنه في المرة القادمة لن يدع عظامك في كيس».

لكن الأمير لم يكن راغباً في التخلي عن غايته، فانطلق ثانية للعثور على زوجته. نصحه العنقاء: «إن كان عليك أن تحصل عليها بأي ثمن، اذهب الآن واطلب من زوجتك أن تكتشف تعويذة العفريت. إن استطعت أن تكتشف ذلك، أمكن تحطيم قوة عفريت العاصفة».

لذا، امتطى الأمير جواده المطهم مرة ثانية وأسرع إلى قصر العفريت. ولما كان هذا نائماً فقد استطاع الأمير التحدث إلى زوجته. وعدته الأميرة وهي في غاية السرور أن تكتشف تعويذة العفريت قائلة إنها إذا لزم الأمر ستستعمل المداهنة. أخفى الأمير نفسه في جبل مجاور منتظراً النتيجة.

وحين استيقظ عفريت العاصفة من نومه في نهاية الأربعين يوماً، ذهب إلى جناح الأميرة، وطرق الباب. فقالت له: «أغرب عن وجهي! إنك تنام أربعين يوماً وأبقى أنا وحيدة ضجرةً من حياتي».

سرَّ العفريت أن تنازلت للتحدث إليه، فسألها فرحاً ماذا عساه أن يهبها ليطرد حزنها وضجرها. ردت الأميرة: «ماذا يمكنك أن تعطيني؟ لست أنت نفسك سوى ريح. مهما يكن، فلعلك تملك تعويذة يمكنني بها أن أُسرّي عن نفسي».

أجاب العفريت: «أوه، يا سيدتي. إن تعويذتي هي في بلاد نائية جداً ومن الصعب الوصول إليها. لو كان ثمة رجل آخر بارع مثل محمد، ربما نجح».

صارت الأميرة الآن أكثر فضولاً لمعرفة التعويذة، فراحت تتملق العفريت بكل وسيلة حتى أفشى بسره. توسَّل إليها أن تجلس بجانبه لوهلة فاستجابت الأميرة لرغبته هذه، وحصلت على تاريخ تعويذة عفريت العاصفة.

بدأ العفريت يقول: «على سطح البحر السابع جزيرة، وفي الجزيرة ثورٌ يرعى، وفي بطن الثور قفص ذهبي، وفي ذلك القفص حمامةٌ بيضاء. تلك الحمامة البيضاء الصغيرة هي تعويذتي».

سألته ابنة السلطان: «لكن كيف يمكن للمرء أن يصل إلى تلك الجزيرة؟».

فقال: «في الطريق المقابل لقصر طائر العنقاء جبل عالٍ، وفي قمة الجبل نبعٌ. وفي هذا النبع تشرب أربعين خيلاً من خيول البحر مرةً في اليوم. لو وُجِد أحدٌ يتمتع بالمهارة الكافية ليرفس واحداً من هذه الخيول وهو يشرب، فإن باستطاعته حينئذٍ أن يُسرجه ويمتطيه وسوف يأخذه إلى أي مكان يريد».

سألت الفتاة: «وما نفع هذه التميمة لي إن كنت لا أستطيع الاقتراب منها؟».

أخرجت العفريت من حجرتها وأسرعت إلى زوجها تطلعه بالأخبار. وفي الحال امتطى الأمير جواده المطهم وعاد إلى قصر أخته الصغرى وأطلع طائر العنقاء على السر.

وفي صباح اليوم التالي، استدعى العنقاء خمسة طيور وقال: «خذوا الأمير إلى النبع الذي في قمة الجبل، وانتظروا هناك حتى تظهر خيول البحر السحرية. وبينما هي تشرب أمسكوا بواحدٍ منها، واضربوه، واسرجوه، وضعوا الأمير على صهوته قبل أن يتمكن الخيل من رفع رأسه من الماء».

التقطت الطيور الأمير وحملته إلى النبع. وعلى الفور أقبلت الخيول وفعلت الطيور ما أمرها به طائر العنقاء. وجد الأمير نفسه على صهوة الجواد المطهم، الذي كان أول ما تفوَّه به هو: «ما مرادك، يا سيدي العزيز؟».

رد محمد: «على سطح البحر السابع جزيرة. وأنا أريد أن أذهب إلى هناك». ومع: «اغمض عينيك!»، طار الأمير في الفضاء، ومع: «افتح عينيك!»، وجد نفسه على شاطئ الجزيرة.

ترجَّل عن جواده ووضع السرج في جيبه، ومضى يبحث عن الثور. تجوَّل في الجزيرة وقابل يهودياً سأله كيف وصل إلى هنا. قال الأمير: «لقد تحطمت سفينتي وغرقت، وبصعوبةٍ بالغة استطعت أن أسبح إلى هنا». قال اليهودي: «أما أنا فقد كنت في خدمة عفريت العاصفة الذي له ثور هنا وأنا أحرسه ليل نهار. هل تريد أن تكون خادمي؟ إنَّ ما عليك أن تفعله هو أن تملأ هذا المذود بالماء كل يوم».

انتهز الأمير الفرصة ووافق يحدوه الشوق أن يلقي نظرة على الثور. أخذه اليهودي إلى الحظيرة. وما إن صار محمد بمفرده مع الثور، حتى بقر بطنه وأخذ القفص الذهبي، وانطلق بسرعة فائقة إلى الشاطئ. أخرج السرج من جيبه وخبط به أمواج البحر، فظهر على الفور جواده وحمله إلى قصر عفريت العاصفة. رفع الأمير زوجته إلى جانبه على صهوة الجواد وقال آمراً إياه: «إلى طائر العنقاء».

وصلا إلى قصر طائر العنقاء تماماً في الوقت الذي استيقظ فيه عفريت العاصفة من نومه. واكتشف أن الأميرة قد رحلت، فاسرع يلحق بهما. شعرت ابنة السلطان بريح العفريت فأدركت أنه على وشك اللحاق بهما. وعند هذه الورطة، صاح الجواد

السحري طالباً منهما أن يقطعا رأس الحمامة التي في القفص. وبالكاد أسعفهما الوقت لأن يفعلا، ولو أن ثانية أخرى قد انقضت لفاتهما كل شيء. هدأت الريح فجأة إذ كان العفريت قد انهار وتحطَّم.

دخلا قصر العنقاء ممتلئين بالبهجة، وأطلقا الجواد السحري ليستريح. وفي اليوم التالي ذهبا إلى الأخت الثانية، وفي اليوم الثالث إلى الأخت الثالثة. استطاع الأمير الآن أن يكتشف المفاجأة السارة وهي أن صهره الأسد كان ملك الأسود، وصهره النمر كان ملك النمور.

وفي الأخير، ذهبوا إلى قصر الأميرة الخاص واحتفلوا بعرسهم من جديد أربعين يوماً وأربعين ليلة، ذهبوا بعدها إلى مملكة الأمير. وهناك أظهر أذني التنين وأنفه، ولأنه قد نفَّذ وصية أبيه أنتُخب سلطاناً. بعد ذلك عاش محمد وزوجته وحكما مملكتهما في سعادة تامة حتى أواخر أيامهما.

التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية

في الزمن الغابر، عاش سلطان وكان له ثلاثة أولاد. وفي أحد الأيام بينما كان الابن الأكبر يجلس في قصره الذي إلى جانب النبع، جاءت عجوز لتغرف الماء. قذف الولد حجراً على جرّتها فكسرتها. لم تقل المرأة شيئاً، بل ذهبت وعادت ثانية بجرّةٍ أخرى. وثانيةً قذف الولد حجرةً وهشم جرتها. ذهبت المرأة كما فعلت من قبل، ثم عادت للمرة الثالثة. أبصرها الولد وقذف بالجرة فحطّم الجرّة كما فعل بالجرتين السابقتين. عندئذ تحدثت العجوز: «بلاك الله بمحبة التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية».

قالت هذه الكلمات ومضت لحال سبيلها مختفية كما قدِمت.

بعد بضعة أيام بدأت كلمات المرأة العجوز تفعل فعلها، وصار ابن السلطان فعلاً واقعاً في حب التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية. يوماً فيوماً صار أنحل وأشد شحوباً. وما أن سمع أبوه أن ابنه مريض حتى أرسل في طلب الأطباء والحكماء إلا أن حال ابنه كانت أبعد من قدرة هؤلاء على شفائها.

وذات يومٍ، قال أحد الأطباء للسلطان إن الفتى مريض بمرض الحب. فذهب الحاكم إلى ابنه وسأله عما يعانيه. أجابه الولد بأنه وقع في حب التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية. سأله أبوه: «وما الذي يمكن فعله؟ أين يمكن العثور على التفاحتين؟».

رد الفتى: «أرجو أن تسمح لي بالذهاب للبحث عنهما».

حاول السلطان أن يثني ابنه، لكن الولد ظل على عناده، عازما أن يبحث عن التفاحتين مهما كانت العواقب. ولما كان الأخوان الأكبران يرغبان في مرافقته اقتنع الأب بعد طول ممانعة، وأخيراً ارتحل الأولاد نحو غايتهم.

صاعدين جبلاً وهابطين وادياً، وقاطعين سهلاً، ظل الأخوه يجوبون المسافات حتى وصلوا ذات يوم إلى نبع تتفرع منه طرقات ثلاث وقد نصبت عنده لوحة توجيهات للمسافرين تخبرهم عن أن من يسير في الطريق الأول سيرجع، ومن يسير في الطريق الثاني قد يعود وقد لا يعود، ومن يسير في الطريق الثالث لن يعود. قال الأخ الأكبر إنه سيسير في الطريق الأول، وأختار الأوسط أن يسير في الطريق المشكوك فيه، أما الأصغر فقد رغب أن يمضي في الطريق الذي وعد بألا عودة لمن يسير فيه. وهنا افترق الإخوة الثلاثة. قال الأخ الأصغر:

«كيف يمكننا أن نعرف من الذي عاد منا أولاً؟ دعونا ننزع خواتمنا ونضعها تحت حجر، وعندما نرجع ليأخذ كلَّ واحدٍ خاتمه».

وهكذا اتفقوا وسار كلٌّ في طريقه المختار.

سار الأخ الأكبر حتى وصل أرضاً وجد فيها حمام سباحة واشتغل فيه خادماً. وتجوَّل الأخ الأوسط هنا وهناك حتى وصل إلى بلاد وجد فيها مقهى فدخله وصار فيه نادلاً.

والآن، سنرى ما حل بالأخ الأصغر. بعد الترحال الطويل، وصل ذات يوم إلى نبع أبصر فيه عجوزاً تغرف الماء. ابتدرها قائلاً: «أمّاه، هل يمكنك أن تقدمي لي المأوى لهذه الليلة فحسب؟».

قالت: «يا بني، كوخي صغير جداً، لدرجة أني حين استلقي لأنام تكون قدميَّ خارجه، فأين يمكنني إيواؤك؟».

عرض على المرأة حفنةً من القطع الذهبية، ورجاها أن تجد له غرفة في أي مكان. وما أن رأت القطع الذهبية حتى قالت: «تعال، يا بني، لديَّ منزلٌ كبير. لمن عساني أوفِّر غرفةً إن لم أوفِّرها لك؟».

ومضيا معاً.

ولما جلسا لتناول العشاء، سأل الفتى: «قولي لي، يا أماه، أين يمكنني أن أجد التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية؟».

وما إن نطقت شفتاه بالسؤال، حتى صفعته العجوز على فمه صائحةً: «اسكت! إن اسمهما محرَّمٌ هنا!».

قدَّم لها الفتى حفنة أخرى من الذهب، استلمتها وهي تقول: «انهض في الصباح واصعد ذلك الجبل المقابل، وهناك ستقابل راعياً. هو راعي القصر الذي فيه التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية. إن استطعت أن تنجح في إقناعه فقد تحصل على رخصة الدخول إلى القصر. إنما، احذر، بمجرد أن تحصل على التفاحتين، أسرع عائداً إليَّ».

وهكذا، في صباح اليوم التالي صعد الجبل وعبره إلى الجهة الأخرى وهناك وجد الراعي يرعى أغنامه. حياه بلطف فرد عليه الرجل التحية. وبينما كانا يتحادثان سأل الفتى الراعي عن التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية. وما كادت الكلمات تخرج من فيه حتى ضربه الراعي بوجهه بقوة حتى أوشك أن يسقط. سأله الفتى: «لماذا ضربتني، أيها الراعي؟».

«ماذا! ألا زلت تسأل؟ سوف أخرسك في الحال!»، ردَّ عليه الراعي وأخذ يضربه من جديد على وجهه. لكن الفتى أخذ يتوسل إليه ويلح عليه أكثر من ذي قبل، وأعطى الراعي حفنة من الذهب. قال الراعي للفتى بعد أن استرضاه: «سوف أذبح الآن خروفاً كي أصنع من جلده حقيبة أدخلك فيها، وعندما يحل المساء، وأسوق الغنم إلى البيت في القصر، يمكنك الدخول مع الغنم. وحين ينام الجميع، اصعد إلى الطابق الثاني وانسل دون أن يلحظك أحد إلى الغرفة التي على الجهة اليمنى. هناك ترقد ابنة السلطان في سريرها وستجد التفاحتين على الرف قريباً منها. إن استطعت الخروج بهما، فبها ونِعْمَ، إن أخفقت، انتهى كل شيء إذ ستلقى حتفك».

عندئذٍ، ذبح الراعي خروفاً، وأخفى الفتى داخل جلده وساق الغنم إلى السرايا. نجح الفتى في الدخول من دون أن يلحظه أحد.

وعند حلول الظلام، وبعد أن نام الجميع، تسلّل الفتى خارجاً من جلد الخروف، وزحف ببطء وحذرٍ شديد إلى الطابق الأول. دخل إلى الحجرة المطلوبة فرأى هناك سريراً ترقد فيه فتاةٌ حلوة جميلة كالبدر في تمامه.

كان لها حاجبان أسودان وعينان زرقاوان وشعرٌ ذهبيٌّ، وبالتأكيد، لا يوجد لها نظيرٌ في العالم أجمع. كان جمالها ساحراً لدرجة أن الفتى امتلأ دهشة. وبينما كان يحدِّق في الفتاة، بدأت إحدى التفاحتين على الرف تضحك، وأخذت الأخرى تبكي بحرقة. أغلق الفتى الباب بسرعة وعاد إلى الأغنام. الضجة التي أحدثتها التفاحتان أيقضت الفتاة. نهضت، ولم تر أحداً، وتلفتت في الحجرة ثم سخرت من التفاحتين لغبائهما، وعادت للاستلقاء من جديد.

نامت الفتاة مرةً أخرى، وصعد الفتى الدرجات، وفتح الباب ببطء وحذر ودلف إلى الحجرة. خطى بضع خطوات نحو التفاحتين، وثانية شرعت إحداهما تضحك والأخرى تبكي. استيقظت الفتاة ولكنها لم تر أحداً، فصاحت: «أيتها المخلوقتان المزعجتان! تلك هي المرة الثانية التي توقظاني فيها، إن كررتما ذلك فسأقطعكما».

ثم استلقت في سريرها للمرة الثالثة. ولما نامت أتى الفتى مرة ثالثة، وفتح الباب ودخل مباشرة إلى التفاحتين وعندما أوشك أن يأخذهما من الرف بدأت واحدة تضحك والأخرى تبكي. لكن الفتى جرى خارجاً، ولما استيقظت الفتاة لم تر شيئاً. صاحت: «أيتها المخلوقتان الوقحتان! هل جننتما حتى توقظاني للمرة الثالثة؟».

ضربتهما وعادت لنومها.

وبعد وقتٍ قصير، رجع الفتى للمرة الرابعة إلى الجناح، ومضى إلى الرف وأنزل التفاحتين اللتين لم تحدثا الآن أي صوت كونهما غاضبتين من المعاملة التي لقيتاها. وبسرعةٍ خرج وعاد إلى الأغنام.

وفي الفجر ساق الراعي أغنامه إلى الجبل. وهناك خرج الفتى من جلد الخروف ووهب الراعي حفنة أخرى من الذهب وقال له: «لقد تحققت إرادة الله!» ثم عاد إلى منزل المرأة العجوز التي ما أن رأت الفتى حتى ملأت حوضاً كبيراً بالماء ثم ذبحت طيراً وتركت دمه يسيل إلى الوعاء. بعد ذلك، وضعت لوحاً خشبيّاً في الماء ووضعت الفتى عليه.

لكننا سنعود الآن إلى السرايا. عندما استيقظت الفتاة، أبصرت أن التفاحتين لم تكونا هناك على الرف. صاحت باحثة عنهما في كل مكان دون جدوى: «أوه، ماذا حدث لتفاحتيَّ؟ وآ أسفاه! لقد سرقت تفاحتاي. أيقظتاني ثلاث مرات، لكني لم أفهم. لقد دخل لصٌّ إلى الحجرة!».

بكت الفتاة على نحوٍ متواصل وتنهدت بمرارة: «أوه، يا تفاحتيّ! أوه، يا تفاحتيّ!» ولما بلغت الأخبار والدها، السلطان، أمر بأن تغلق أبواب المدينة على الفور. وبدأ البحث الدقيق، لكن التفاحتين لم تكونا في أي مكان حتى يعثر عليهما. أرسل السلطان في طلب المنجمين الذين استشاروا النجوم وقالوا إن من أخذهما هو الآن في مركبٍ في بحر الدم.

قالوا: «أوه، أيها السلطان! لابدّ من أنه قد صار بعيداً جداً لأننا لا ندري أين يمكن أن يوجد بحرٌ كبحر الدم هذا».

تأكد الحاكم أنه ما من سبيل للقبض على اللص، لذا فتحت أبواب المدينة من جديد. منح الفتى العجوز بعض القطع الذهبية واستودعها الله، وانطلق من جديد باحثاً عن مغامرة أخرى. بعد بضعة أيام وجد نفسه بجوار النبع الذي افترق عنده مع اخوته. رفع الحجر الذي وضعوا تحته خواتمهم، ووجد أن الأخوين لم يعودا بعد. وضع خاتمه في إصبعه ومضى في الطريق الذي سار فيه أخوه الأوسط. تجوّل هنا وهناك صاعداً جبلاً وهابطاً وادياً وعابراً السهول، شارباً من مياه الأنهار ومستريحاً في القفار مصغياً لأغاني الأطيار، حتى وصل ذات يوم إلى إحدى البلدان. دخل مدينة وبحث عن مقهى، وبينما كان يشرب قهوته ويدخن

غليونه تعرَّف على أخيه الأوسط وهو يقدم القهوة للناس. غير أن أخاه لم يتعرف عليه. دعاه جانباً، وتحدث إليه، وسأله عدداً من الأسئلة، وبعد لأيٍ، عرفه أخوه الأوسط. بعدئذٍ، مضيا معاً في الوقت المحدد ووصلا إلى النبع. أخذ الخاتم الثاني وعزم الاثنان الآن أن يذهبا للبحث عن أخيهما الأكبر. أبصراه لاحقاً، وسهَّلا عليه معرفتهما ثم عادوا جميعاً إلى النبع.

وفي طريقهم سأل الأخوان أخاهم الأصغر عما أن كان قد حصل على التفاحتين، قال: «بالطبع». وأخرجهما، وما إن وقعت عليهما أعينهما حتى وقعا في حبهما، وتوسلاّ إلى أخيهما أن يدعهما يمسكان التفاحتين بيديهما. أطاع الفتى أخويه وأعطاهما التفاحتين. والآن وقد صارت الثمرة السحرية في حوزة أخويه، قرر الأخوان أن يقتلا أخاهما الأصغر ويقتسما التفاحتين بينهما.

ذهبوا إلى المقهى، وجلسوا في الحديقة، وبعد أن طلبوا شيئاً يأكلونه، طلبوا من صاحب المقهى أن يأتي لهم ببساط. كان في الحديقة بئرٌ مفتوحة، غطاها الأخوان الأكبران بالبساط.

ومن دون علم أخيهما الأصغر بالبئر جلس على البساط وسقط إلى قعرها. وتظاهر الأخوان بعدم ملاحظتهما شيئاً عن غياب أخيهما، أكلا، وشربا، ودخنا غليونهما، ثم نهضا فيما بعد وغادرا. وعندما وصلا إلى موطنهما، سألهما أبوهما عمّا حدث لابنه الأصغر. أجاب الأخوان أنهما وجدوا التفاحة الضاحكة والتفاحة الباكية، أما أخوهما الأصغر فقد سلك الطريق الذي لا عودة منه، وبالتالي فإنهما لم يرياه بعد ذلك. ذرف الأب الدموع، لكنه أمل أن ابنه إن كان لا يزال حيّاً فإنه سيجد طريقه إلى الوطن عما قريب.

والآن، عندما سقط الفتى في البئر التي كانت جافة، لم يمت، بل صُدِم وأغمي عليه. لكنه سرعان ما استعاد وعيه، ونادى عدة مرات على أمل أن يسمعه أحد. وحدث أن صاحب المقهى كان يتمشى في الحديقة. سمع النداء وأنزل رجلاً إلى البئر ليأتي بالفتى. شكر الفتى منقذيه بودٍ بالغ ومضى في سبيله، لكنه لم يذهب إلى قصر أبيه، بل أسلم نفسه للعمل صبيّاً عند صفّاح (سمكري).

وفي أحد الأيام طلب السلطان الذي سرقت تفاحتا ابنته أن تصنع له مسبحةً من ألف حبة، وقد أرسل بهذا الطلب خدمه إلى

كل البلدان. والقوة السحرية لهذه المسبحة كانت من الشدة إلى درجة أن من سرق التفاحتين سيحكي لحباتها القصة كاملة عن الحادثة.

وبعد أمد طويل، وصلت المسبحة الأرض التي يعيش فيها الإخوة الثلاثة. وعندما سمع الفتى عنها أخبر سيده، الصفّاح، أنه سيخبر حبات المسبحة. انتقلت الكلمة إلى خدم السلطان الذين جاوءا بالمسبحة وطلبوا منه أن يبدأ. قال الفتى إنه كان يودُّ أن يفعل ذلك، لكنه لن يفعل إلا في حضرة سلطان البلاد.

جاءوا به إلى السلطان، وشُرِح له الأمر. اقتنع السلطان أن يكون شاهداً، ثم سلمت المسبحة إلى الفتى الذي بدأ حكايته. قدَّم تقريراً كاملاً عن مغامراته في البحث عن التفاحتين، ولما وصل إلى الجزء الذي قذفه فيه أخواه إلى البئر، اكتملت المسبحة. تبين الآن للسلطان أن هذا هو ابنه فاحتضنه وأخذ يقبله باكياً من شدة الفرح.

توسَّل الغرباء السلطان أن يسمح لابنه الأصغر بالعودة معهم، واقتنع، لكن بعد أن تتم معاقبة أخويه الماكرين بشدة. بدأوا رحلتهم الطويلة ووصلوا بعد أيام إلى موطن التفاحتين. وهناك، أحضر الفتى بين يدي السلطان الذي ما إن رآه حتى

شعر بقلبه يقفز إلى الأمير الصغير. أمر الحاكم أن يخبر حبات المسبحة أمامه. أعاد الفتى حكاية مغامرته مع التفاحتين. ولما أنتهت الحكاية، قدَّم له السلطان ابنته زوجةً، وبذلك يتشاركان التفاحتين اللتين أحباهما معاً. اقتنع الفتى بكل رضا وتواصلت الاحتفالات أربعين يوماً وأربعين ليلة بالتقاء الحبيبين. وبينما هما في سعادتهما سنلوذ نحن بديواننا.

الغراب الجنّية

عاش ذات مرةٍ رجلٌ وكان له ولدٌ واحد. كان الرجل يقضي النهار كله في الغابة، يصطاد الطيور ثم يبيعها. وذات يوم مات الأب وخلّف ابنه وحيداً في هذا العالم. لم يدر الولد ماذا كانت مهنة أبيه، إلى أن صادف ذات يوم بين الأشياء التي تركها أبوه مصيدة طيور. أخذها وذهب إلى الغابة ووضعها في شجرة. وفي الحال أقبل غرابٌ طائراً وحطّ على الشجرة ووقع في المصيدة. تسلق الولد الشجرة وكان على وشك أن يمسك بالطائر، فتوسل إليه الغراب أن يطلق سراحه في مقابل أن يعطيه طائراً أكثر جمالاً وأثمن منه هو. توسّل بكل وسيلة، فأطلقه الفتى.

نصب الولد المصيدة مرةً ثانية تحت الشجرة وجلس ينتظر. وسرعان ما أقبل طائرٌ آخر إلى الشجرة، ثم وقع في المصيدة. دهش الولد من جمال الطائر إذ لم يسبق له أن رأى في حياته طائراً بروعته. تطلّع إليه من كل جانب، وربت عليه وقبّله، ثم أوشك أن يأخذه عائدا به إلى البيت وإذا بالغراب يطير قريباً منه

ويقول: «خذ هذا الطائر إلى السلطان، وسوف يشتريه منك».

فوضع الولد الطائر في قفص وذهب به إلى القصر. ولما رأى السلطان الطائر الصغير البديع الجمال سرَّ به سروراً عظيماً فوهب الولد من الذهب ما لم يدر ما يفعل به. وضع الطير في قفص ذهبي وراح السلطان يمتع نفسه بالتطلع إليه صباح مساء.

كان للسلطان وزيرٌ شعر بالحسد من حظ الولد فأعمل ذهنه يفكِّر في خطة ليحرمه منه. وذات يوم ذهب إلى السلطان وقال له: «كم سيكون هذا العصفور جميلاً لو وضع في برجٍ من العاج!».

فردَّ السلطان: «لكن، أيها الوزير، أين يمكنني الحصول على عاجٍ كافٍ؟».

قال الوزير المحتال: «ذلك الذي جاءك بالعصفور يمكنه أيضاً أن يأتيك بالعاج».

أرسل السلطان في طلب الولد صائد الطيور وطلب منه أن يجلب له العاج ليبني به للطائر برجاً. لكن الفتى اعترض قائلاً: «لكن، يا حضرة السلطان! من أين لي أن أحصل على ذلك العاج الكثير؟».

ردَّ الملك: «هذا شأنك أنت. سأعطيك مهلة أربعين يوماً لتجمعه. وإن لم يكن هنا في ذلك الحين قطعت رأسك».

خرج الولد من عند السلطان وهو في غاية الكرب. وبينما هو غارق في التفكير بهذه المحنة، ظهر الغراب وسأله عمّا به من حزن. أخبر صائد الطيور الغراب بما سبب له ذلك الطائر الصغير من سوء حظ. قال الغراب: «لا تحزن. ولكن اذهب إلى السلطان واطلب منه أربعين عربة محملة بالنبيذ».

ذهب الولد إلى القصر وحصل على النبيذ. ولما كان مقبلاً بالنبيذ، طار الغراب نحوه وقال: «بالقرب من الغابة ستجد أربعين مذوداً للشرب. كل الفيلة تجيء إليها لتشرب، اذهب وصب النبيذ في تلك المذاود، وعند ما تستلقي كل الفيلة على الأرض مخدرة، اقطع كل أنيابها وخذها إلى الملك».

فعل الولد كما أرشده الغراب، وأخذ الأربعين عربة وحمَّلها بالعاج وعاد إلى القصر. سر السلطان سروراً بالغاً بكمية الأنياب فكافأ صائد الطيور مكافأة مجزية. وسرعان ما بني البرج ووضع فيه الطائر. أخذ الطائر البديع يتنقَّل مَرِحاً في بيته الجديد، لكنه لم يكن يغني. واقترح الوزير الماكر قائلاً: «لو كان صاحبه هنا لرغب في أن يغني».

ردَّ الملك بحزن: «ومن يدري من كان صاحبه، وأين يمكن العثور عليه؟».

قال الوزير: «من جاءك بالعاج يمكنه بالتأكيد أن يكتشف صاحب هذا الطائر».

استدعى السلطان الولد وطلب منه أن يعثر على صاحب الطائر الأسبق. قال الولد صائد الطيور: «وكيف يمكنني أن أعرف من كان مالكه؟ لقد اصطدته في الغابة».

ردَّ عليه الملك: «ذاك شأنك أنت. إن لم تعثر عليه فستكون عقوبتك الموت. سأعطيك مهلة أربعين يوما للعثور عليه».

عاد الولد إلى بيته وبكى مرارة، غير أن الغراب ظهر وسأله عما يحزنه فأخبره الولد المسكين بقصته. فقال الغراب: «هذا الأمر السهل لا يستحق كل هذه الدموع. اذهب حالاً إلى السلطان وأطلب منه مركباً كبيراً يكفي لحمل أربعين فتاةً وبه حديقة ومسبح جميل على ظهره».

ذهب صائد الطيور إلى السلطان وأخبره بما يحتاج إليه للرحلة. بني المركب وفقاً للمواصفات المطلوبة، وصعد الولد إلى ظهر المركب، وبينما هو يفكر في أين عساه يتجه، إلى اليمين

أم إلى اليسار، إذا بالغراب يظهر مرة أخرى قائلاً: «أبحر دوماً جهة اليمين ولا تتوقف حتى تصل إلى جبل عالٍ. عند قدم ذلك الجبل يقيم أربعون عفريتاً. حين يرون مركبك سيودون كلهم أن يفتشوه. مهما يكن، فلا تسمح إلا للملكة أن تصعد إلى المركب لأنها هي مالكة ذلك الطائر الصغير. وأنت تريها المركب، أبحر ولا تتوقف ثانيةً حتى تصل إلى هنا».

أبحر الولد بمركبه متجهاً دائماً صوب اليمين ولم يتوقف حتى وصل إلى الجبل. وهناك، على شاطئ البحر، كان الأربعون عفريتاً يتمشون، وما أن لمحوا المركب حتى أرادوا أن يفتشوه. رجت الملكة صائد الطيور أن يدعهم ينظرون ما بداخل المركب، لأنهم لم يسبق لهم أن رأوا مركباً من قبل. على أي حال، الملكة وحدها هي من سُمِح لها بالصعود إلى ظهر المركب، وقد أرسل إلى الشاطئ قاربٌ صغير للإتيان بها. كانت الجنية مسرورة جداً بالمركب الجميل. راحت تتمشى على ظهر المركب متنزهة في الحديقة، ولما وقعت عيناها على المسبح، صاحت: «ما دمت هنا فسوف أستحم أيضاً».

وهكذا، نزلت إلى المسبح، وبينما هي تستحم، انطلق المركب مبحراً. وفي الوقت الذي فرغت الجنية من استحمامها،

كان المركب قد ابتعد كثيراً في البحر. أسرعت إلى ظهر المركب فأبصرت أنهم قد ابتعدوا عن الشاطئ ولم يعودوا يبصرون شيئاً، فانفجرت تطلق صيحات اليأس. ترى، ما الذي سيحدث لها؟ إلى أين يأخذونها؟ تطوَّع الولد للتخفيف عنها وأخبرها أنها ذاهبة إلى أناس طيبين وإلى القصر الملكي.

ثم وصلوا إلى المدينة التي أبحر منها المركب، وأبلغ السلطان بوصول المركب سليماً. أخذت الجنية إلى القصر الملكي. وعند ما مرَّت بالقرب من برج الطائر، أخذ يغني غناءً يسحر الألباب لدرجة أن كلَّ من سمعه ابتهج إلى أقصى حد. صارت الجنية الآن هادئة مطمئنة، بل صارت أكثر اطمئناناً عند مقابلة السلطان، الذي أعجب إلى أبعد حد بها لدرجة أنه لم يستطع أن يحوِّل عينيه بعيداً عنها. أقيم حفل زواج السلطان إلى الجنية بعد ذلك مباشرة، وصار السلطان الآن أسعد انسان على ظهر الأرض.

لكن الوزير كان يغلي من شدة الغضب.

وفي أحد الأيام مرضت الملكة مرضاً شديداً. وكان العلاج الذي سيشفيها موجوداً في قصر الجنية الذي في موطنها، فاقترح الوزير فجأة أن يذهب صائد الطيور لجلبه. ولما كان على وشك أن يبحر وفقاً للمقترح، ظهر الغراب وسأل إلى أين هو ذاهب.

قال الولد إن الملكة مريضة وإنه ذاهبٌ إلى قصر الجنية ليجلب لها الدواء. قال الغراب: «سوف تجد القصر على الجانب الآخر من الجبل. وثمة أسدان يحرسان البوابة. خذ هذه الريشة معك، وإن ضربت فكيّهما بها فلن يؤذياك».

أخذ الولد الريشة وانطلق مبحراً. رمى بالمرساة عند أقدام الجبل، وسرعان ما أبصر القصر. ذهب إلى المدخل حيث وقف أسدان، وحين خبطهما بالريشة على فكيهما، انسحبا. رأى الجن الرجل الشاب، وشكوا أن ملكتهم مريضة، لذلك أعطوه الدواء وعاد إلى موطنه من دون تأخير. وعندما دخل إلى جناح الجنية بالدواء، حط الغراب على كتفه ووقفا معاً أمام المريضة هكذا. كانت المريضة شارفت على الموت، غير أنها في اللحظة التي أخذت الدواء استعادت حياتها. فتحت عينيها وأبصرت صائد الطيور والغراب على كتفه، فخاطبت الغراب قائلة: «أنت، أيها الطائر الكريه، ألا توجد لديك أي رحمة على هذا الولد المسكين، إذ تسببت له في كل هذه المعاناة؟».

عندئذٍ أخبرت الملكة زوجها أن هذا الغراب كان ذات مرة خادمتها الجنّية فحوّلتها إلى غراب عقوبةً لها على إهمالها.

ثم قالت مخاطبةً الطائر: «أما الآن فإني أعفو عنك، بعد أن تأكدت أنكِ لا تزالين تحبينني».

وهنا، هزَّ الغراب نفسه، ويا للعجب، لقد وقفت أمام صائد الطيور فتاة جميلة! وبناءً على رغبة الملكة زوَّج الملك الغراب الجنية لصائد الطيور. أما الوزير الزائف فقد طُرِد من منصبه ونُصِّب الشاب صائد الطيور وزيراً مكانه. وهكذا عاشوا جميعاً في سعادة دائمة.

الأربعون أميراً والتنّين ذو السبعة رؤوس

عاش ذات مرّةٍ سلطان له أربعون ولداً كانوا يقضون نهاراتهم في الغابات يصطادون وينصبون الشراك للطيور. وعندما بلغ الابن الأصغر الرابعة عشرة من عمره، ظنّ أبوهم أن الوقت قد حان لتزويجهم، فدعاهم كلهم وتحدث إليهم عن الموضوع، قالوا: «إننا نرغب في الزواج، لكننا لن نفعل إلا إذا استطعنا مقابلة أربعين أختاً من الأب والأم نفسيهما».

لذلك بحث السلطان في أرجاء مملكته عن أسرة بهذه المواصفات، ولكن دون جدوى: كان أكبر عدد للأخوات في المملكة كلها هو تسع وثلاثون. قال السلطان لابنائه: «فليأخذ الابن الأربعون زوجة أخرى».

لكنهم رفضوا أن يقبلوا ورجوا أباهم أن يسمح لهم بالسفر إلى البلدان الأخرى باحثين عن مرادهم. ما الذي كان السلطان يستطيع فعله؟ ولما لم يفلح في ثنيهم عن قرارهم، وافق متحفظاً على طلبهم. فقال لهم قبل أن يغادروا: «هناك ثلاثة أمور عليكم أن تضعوها نصب أعينكم. عندما تصلون إلى نبع غزير، فلا تبيتوا الليل بالقرب منه. وعلى مسافةٍ أبعد منه يوجد نُزلٌ، فلا تبيتوا

الليل فيه أيضاً، وخلف النُّزل يوجد سهلٌ فسيحٌ، فلا تتلكأوا فيه لحظةً واحدة».

وعده الابناء أن يتذكروا نصيحته، وامتطوا جيادهم المطهمة وارتحلوا.

أخذوا يتحدثون ويدخنون وهم يتابعون طريقهم، وعند حلول الليل وصلوا إلى النبع.

قال الأخ الأكبر: «والآن، لن نمضي خطوةً واحدة أبعد من هنا. لقد أنهكنا التعب وقد حل الظلام. وفضلاً عن ذلك، ما الذي يمكن أن يخشاه أربعون رجلاً؟».

وهكذا، ترجلوا عن جيادهم، وتناولوا عشاءهم، واستلقوا ليستريحوا. بقي الأخ الأصغر ذو الرابعة عشرة من العمر يقظاً يحرسهم. وعند منتصف الليل سُمِع صوتٌ مخيف. فاستل سيفه بحذر، واقترب الصوت منه أكثر فأبصر تنّيناً بسبعة رؤوس. هبَّ كلٌّ من الوحش والفتى لمهاجمة أحدهما الآخر. ولمراتٍ ثلاث تصارع التنين مع الفتى، لكنه لم يفلح في التغلب عليه. ثم صاح الفتى: «والآن، جاء دوري» وضرب التنين ضربةً قوية أطارت ستة رؤوس من بدنه.

صاح التنين بالكاد: «اضرب مرة أخرى».

ردَّ الفتى: «ليس أنا من يفعل».

تهاوى التنين إلى الأرض، ثم، ويا للعجب! أحد رؤوسه أخذ يتدحرج ويتدحرج حتى وصل إلى بئر، قائلاً: «دع ذلك الذي أخذ حياتي يأخذ أيضاً كنزي».

قال ذلك وسقط في البئر.

أخذ الفتى حبلاً وربط أحد طرفيه إلى صخرة وأمسك بالطرف الآخر ونزل إلى البئر. وفي قاع البئر وجد بوابةً حديدية. فتحها ودخل فأبصر قصراً أجمل من قصر أبيه. وفي القصر أربعون جناحاً، في كل جناح جلست فتاة على بساط مطرَّز وبالقرب منها كنوز هائلة مكومة. سألته الفتيات وقد صعقهن الرعب: «هل أنت إنسيٌّ أم جني؟».

أجاب: «أنا من البشر وقد قتلت التنين ذا السبعة الرؤوس وأتيت إلى هذا المكان أتبع أحد رؤوسه المتدحرجة».

سرَّت الفتيات الأربعون الآن مما سمعنه، وعانقنه كلهن ورجونه أن يبقى معهن. وقلن له إنهن أربعون أختاً سرقهنَّ التنين

وقتل أبويهن، وليس لهن الآن حتى صديق واحد أو قريب في هذا العالم الواسع.

قال الأمير: «نحن أربعون أخاً، نبحث عن أربعين أختاً».

ثم أخبرهن أن عليه أن يصعد إلى إخوته وأنه سيعود في الحال ليأخذهن بعيداً عن هذا المكان. صعد من البئر وذهب إلى النبع حيث رقد وغرق في النوم.

وفي الصباح الباكر، استيقظ الأخوة الأربعون، وبدأوا يضحكون من محاولة أبيهم في إخافتهم بشأن النبع. انطلقوا ثانية مواصلين رحلتهم حتى حل المساء، انظر، يا للعجب! ها هو ذا النزل الذي ذكره أبوهم يقف منتصباً أمامهم. قال الأمراء الصغار الكبار: «لن نذهب أبعد من هنا هذه الليلة».

أما الصغير فقد عبَّر عن رأيه قائلاً إن الأفضل لهم أن يتّبعوا نصيحة أبيهم، غير أن الآخرين لم يصغوا لرأيه. تناولوا عشاءهم، وأدوا صلاتهم، واستلقواليناموا، لكن الأخ الأصغر بقي يحرسهم كما فعل من قبل.

وعند منتصف الليل سمع ضجةً. استل سيفه ووجد نفسه وجهاً لوجه مع تنينٍ آخر بسبعة رؤوس هو أكبر وأشد رعباً من

سابقه الذي قضى عليه بالأمس. هجم عليه التنين مباشرة من دون أن يصيبه ثم هجم عليه الفتى ثائراً غاضباً فأوقع ستة رؤوس من رؤوسه السبعة. فناشده التنين أن يضربه مرَّة أخرى إن كان شجاعاً لكن الأمير لم يفعل. وكما في المرة السابقة أخذ أحد الرؤوس يتدحرج صوب بئر. تبعه الفتى واكتشف قصراً أضخم من الأول وكنوزاً أكثر. ألقى نظرة على المكان، وعاد إلى إخوته واستلقى ونام نوماً عميقا بعد الإعياء الذي ناله من النزال وكان على إخوته أن يوقضوه صباح اليوم التالي.

امتطوا جيادهم وواصلوا رحلتهم صاعدين جبلاً وهابطين وادياً حتى وصلوا عند غروب الشمس إلى سهل شاسع. أكلوا وشربوا وكانوا على وشك أن يناموا حين سمعت زعقةٌ مريعة فجأةً، وبدا أن الجبل يتزلزل. استولى الرعب على كلِّ واحدٍ منهم حين وقعت أعينهم على تنين عملاق يطلق النار والزئير: «من الذي قتل أخويَّ؟ أحضروه إليَّ لأقضي عليه».

أبصر الفتى إخوته وقد شلَّهم الرعب، ولم يعودوا قادرين على فعل شيء. أعطاهم مفاتيح البئرين، وأخبرهم أن يأخذوا الأربعين فتاةً مع الكنوز. ووعد أن يلحق بهم بعد أن يتخلص من التنين. ركب التسعة والثلاثون جيادهم وفروا هاربين.

سنعود الآن إلى الأخ الأصغر.

كان النزال بين الأمير والتنين عنيفاً، فقد استمر لأمدٍ طويل من دون أن يتغلب أحدهما على الآخر. ولما تبين التنين أن القتال لم يجد، قال للأمير: «إن أنت ذهبت إلى بلاد التشينيماتشين وأتيت لي بابنة السلطان، فسأنقذ حياتك».

وافق الأمير على الشرط لأنه كان قد صار في غاية الارهاق حتى لم يعد قادراً على مواصلة النزال.

أعطى «تشامبالاك» - كما كان يدعى التنين - أعطى الأمير سرجاً وقال له: «كل يوم يرعى الجواد السحري ايجير: امسكه، وضع السرج عليه، واطلب منه أن يأخذك إلى بلاد التشينيماتشين.

أخذ الفتى السرج وانتظر الجواد السحري الذي جاء يطير في الهواء بلونه الذهبي، وما إن وضع السرج عليه حتى قال: «أمرك، أيها السلطان الصغير. اغمض عينيك - افتح عينيك!» ويا للعجب! ها هو ذا الأمير الصغير في «بلاد التشينيماتشين» النائية. ترجّل عن الجواد، وأخذ السرج وتجول في المدينة.

دخل كوخ عجوز وسألها عما أن كانت تستطيع أن تجد له مأوى، فقالت: «بكل سرور».

قدَّمت له مقعداً وأعدت له قهوة. وبينما يشرب قهوته، سأل عن أحوال البلاد. قالت المرأة: «تنين ذو سبعة رؤوس هام في حب ابنة السلطان. ولسنواتٍ عديدة نشبت الحرب بسببها ولم نستطع التخلص من التنين».

سأل الأمير: «وماذا عن ابنة السلطان؟».

قالت المرأة: «إنها تقيم في قصرٍ في حديقة السلطان، ولا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة بعيداً عنه».

في اليوم التالي ذهب الأمير إلى حديقة السلطان وسأل البستاني أن يأخذه في خدمته. توسل إليه راجياً حتى وافق بعد تمنُّع. قال له: «ليس لك من واجب سوى أن تسقي الزهور».

أبصرت ابنة السلطان الفتى ونادته من النافذة، وسألته كيف جاء إلى هذه البلاد. قال لها الفتى إن أباه كان سلطاناً ثم حدثها عن قتاله مع «تشامبالاك» وكيف وعده أن يجيئه بابنة السلطان. وأضاف: «لكن، لا تخافي، إن حبي هو أعظم من حب التنين، وإن أنتِ أتيت معي، فأنا أعرف كيف أحطمه».

كانت الفتاة نفسها قد وقعت في حب الأمـير الجميل، ورغبت أكثر في الفرار من سجنها الدائم. ثقتها بالأمير كانت لدرجة أنها في الليل خرجت من القصر سرّاً وذهبت معه إلى سهل «تشامبالاك». وفي الطريق تحدثا عما ستفعله الفتاة لتكتشف سر تعويذة التنين لأن الأمير أراد أن يدمره بواسطة التعويذة.

نستطيع أن نتخيل مقدار سعادة «تشامبالاك» برؤية ابنة السلطان أمامه. راح يكرر ويربت عليها: «ما أسعدني بمجيئك! ما أسعدني بمجيئك!».

أما هي فقد ظلت تبكي طوال الوقت. انقضت الأيام والأسابيع، لكن الأميرة لم تجفف دموعها. وذات يوم قالت للتنين: «لو أنك - على الأقل - تخبرني عن تعويذتك، لعل أيامي لن تكون شديدة العناء».

أجاب التنين: «يا حبيبتي، إنها محروسة في مكان يستحيل بلوغه. إنه في بلاد نائية، فيها قصر ضخم، ومن يدخله لا يخرج منه ثانية».

كان ذلك هو كل ما احتاج إليه الأمير. أخذ سرجه، وقذفه إلى البحر فظهر الجواد السحري المطهم: «أمرك، أيها السلطان الصغير؟».

«إلى قصر تعويذة التنين!».

«اغمض عينيك - افتح عينيك!» فصار في القصر. ولما ترجل الأمير عن الجواد السحري، قال له هذا: «ثبِّت سرجي إلى الحِلَق الحديدية التي على بوابة القصر. وعندما أصهل مرةً اقرع الحلقات معاً وستفتح البوابة. البوابة هي فك أسد، ولو استطعت أن تقطعه إرباً بضربةٍ واحدةٍ من سيفك، فأنت في أمان، وإلا فإن ساعتك الأخيرة قد دنت».

ثبَّت الأمير سرج الجواد السحري إلى الحلقتين، وعندما صهل فُتحت البوابة. ضرب الأمير الفك المفتوح ضربة صارمة فشق المخلوق إلى نصفين. ثم شق بطنه وأخذ من داخلها قفصاً فيه ثلاث حمامات فائقات الجمال على نحوٍ متساوٍ لم يسبق له مثيل. أُخذ احداهما بيده ومسد ريشها، وبر.ر.ر.! طارت بعيداً. ولولا أن الجواد السحري قد طار بعدها بسرعةٍ، وأمسكها، وفك رقبتها، لما تمكن الأمير من رؤية محبوبته ثانية أبداً.

امتطى الآن جـواده السحري: «اغمض عينيك - افتح عينيك» ووجد نفسه في قصر «تشامبالاك». وعند بوابة القصر قتل الفتى الحمامتين الأخريين، ولما دخل سقط التنين كتلة هامدة على الأرض. أبصر الحمامتين الميتتين في يد الأمير، توسل إليه أن

يدعه يربت عليهما مرة ثانية قبل أن يموت. أشفق عليه الفتى وكاد أن يقدِّم إليه الحمامتين فجرت ابنة السلطان وقذفت بهما بعيداً. وعلى الفور هلك التنين على نحوٍ محزن. قال الجواد السحري: «من حسن حظك أنك لم تعطه الطيرين، ففي لمسه لهما كانت قد أعطيت له حياة جديدة».

ولما لم يعد ثمة من حاجة للسرج فقد اختفى الآن، واختفى معه الجواد السحري. جمع الأمير وابنة السلطان كل كنوز التنين وحملوها إلى «بلاد التشينيماتشين».

كان السلطان قد صار مريضاً جداً من قلقه على اختفاء ابنته. كان البحث الدقيق عنها قد تم في كل أرجاء مملكته، لكنها لم تكن في أي مكان هناك حتى يعثر عليها، فاستنتج السلطان أنها وقعت تحت سيطرة التنين. وعندما ظهرت الأميرة ثانية سليمةً معافاة، زوَّجها مسروراً إلى الأمير، واحتفل بالعرس بمباهج عظيمة. وبعد شهر العسل، رحلوا مع حشدٍ من الجنود البارعين إلى قصر والد الأمير. كانوا قد ظنوا أن الأمير مات منذ زمن طويل، ودعواه أنه هو الأمير ما كانت لتقبل لو لم يحك قصة التنانين الثلاثة والأربعين فتاة. تزوج إخوته التسعة والثلاثون التسعة والثلاثين فتاة، والفتاة الأربعين صارت زوجة لأخي أميرة «تشينيماتشين». ومنذ ذلك الحين عاشوا جميعاً في أعظم سعادة.

كامر- تاج، مهر القمر

في الزمان الغابر عاش أحد السلاطين. وجد ذات يوم حشرةً صغيرة، فاستدعى وزيره وأخذ الاثنان يفحصان ذلك المخلوق الصغير. ما هي؟ وعلى مَ تتغذّى؟ وفي كل يوم كان يُذبَح حيوان من أجل إطعامها، وبهذه الطريقة صارت تكبر وتكبر حتى صارت بحجم القط. حينئذٍ ذبحوها وسلخوا جلدها، وعلقوا الجلد على بوابة القصر. أصدر السلطان عندئذٍ إعلاناً أن من استطاع أن يحزر على نحو صحيح جلد أي حيوان هو ذلك الجلد فإنه سيتزوج بابنة السلطان.

اجتمع حشدٌ عظيم وراحو يفحصون ذلك الجلد من كل جانب، غير أنه ما من أحدٍ قد وجد في نفسه الحكمة الكافية التي تمكنه من الاجابة على السؤال. انتشرت حكاية الجلد هذه إلى آفاقٍ بعيدة حتى بلغت مسامع أحد العفاريت. فكر العفريت وقال يحدث نفسه: «هذا من حسن حظي. فأنا لم يكن لديَّ ما آكله منذ ثلاثة أيام، والآن يمكنني أن أشبع بالأميرة».

وهكذا ذهب إلى السلطان، وأخبره باسم ذلك المخلوق وطلب على الفور الفتاة. جأر السلطان:

«وآ أسفاه، كيف أستطيع أن أهب هذا العفريت ابنتي الوحيدة».

وأعطاه من العبيد أيَّ عدد يريده فِدْية لها، ولكن دون جدوى! أصر العفريت على الحصول على ابنة السلطان. لذلك استدعى السلطان ابنته وأخبرها أن تستعدَّ للرحلة إذ أن نصيبها كان ذلك العفريت. كل البكاء والعويل كان عبثاً لا طائل من ورائه. ارتدت الفتاة ملابسها بينما انتظرها العفريت خارج القصر.

كان للسلطان حصان يشرب عطر الورد ويأكل العنب، وكان اسمه (كامر–تاج أو مهر القمر). وكان هو المخلوق الذي على صهوته سترافق ابنة السلطان العفريت إلى مقره. سار معها جزءاً من الطريق موكبٌ عظيم ثم عادوا أدراجهم. عندئذٍ صلَّت الفتاة لله وتوسلت إليه أن يحررها من العفريت.

وفجأة شرع مهر القمر يتكلم قائلاً: «أيتها السيدة، لا تخافي. اغمضي عينيك وأمسكي عرفي بشدة».

وما إن أغمضت عينيها حتى شعرت أن المهر يرتفع بها، وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها في حديقة قصر بديع في جزيرة وسط البحر.

غضب العفريت غضباً شديداً لاختفاء الفتاة، وقال: «لا يهم، مهما يكن. سوف أعثر عليها في الحال»، ثم مضى في طريق البيت وحيداً.

غير بعيد من الجزيرة، جلس أميرٌ في قارب مع وزيره. أبصر الأمير على صفحة الماء الساكنة صورة المهر الذهبي المطهم، وقال لوزيره لعل أحداً ما قد وصل إلى القصر. فاتجها صوب الجزيرة وغادرا القارب ودخلا إلى الحديقة. وهنا رأى الفتى الفتاة الجميلة التي حاولت بكل وسيلة أن تخفي وجهها فلم تستطع أن تحجب جمالها عنه.

قال الأمير: «أوه، أيتها الحورية! لا تخافي، أنا لست عدواً!».

قالت: «أنا لست سوى ابنة السلطان، ابنة إنسان ولست حورية».

أكدَّت له، وأخبرته كيف تحررت من العفريت. وأكد لها الأمير بدوره أنها ما كانت لتذهب إلى مكان أفضل من هذا. فأبوه أيضاً سلطان، وطلب منها أن تسمح له بأخذها إليه، وهو بمشيئة الله سيجعلها زوجةً له. وهكذا ذهبوا إلى السلطان، وأخبره الأمير عن مغامرة الفتاة. وفي نهاية الأمر تزوجا وتواصلت الأفراح والولائم أربعين يوماً وأربعين ليلة.

عاشا فترة لم يعكر نعيمهما شيء، غير أن الحرب نشبت مع المملكة المجاورة، وطبقاً للأعراف في ذلك الزمان، كان على السلطان أن يقود الحملة. وما إن علم بذلك، حتى ذهب الأمير إلى أبيه وطلب منه أن يسمح له بالذهاب إلى الحرب. لم يكن السلطان يرغب في ذلك، فقال: «أنت لا تزال فتىً، كما أن لك زوجة ما ينبغي لك أن تتركها».

إلاّ أن الابن توسل إلى أبيه بإلحاح حتى وافق السلطان في الأخير أن يمكث في البيت ويدع الأمير يذهب بدلاً منه.

اكتشف العفريت أن الأمير سيكون في أرض المعركة، كما اكتشف أيضاً أن ابناً وابنة قد ولدا له في غيابه.

في ذلك الحين كان التتار يوظفون رُسلاً يحملون الرسائل بين السلطان في القصر والأمير في ميدان الحرب. أحد هؤلاء الرسل تنصَّت عليه العفريت ودعاه إلى مقهى. وهناك استُضيف طويلاً حتى حلول الليل. ود الرسول حينها أن يذهب، لكنه أُقنِع أن من الأفضل له أن يبقى حتى الصباح. وفي منتصف الليل، وبينما هو نائم، أخذ العفريت يفتش حقيبة رسائله وعثر على رسالةٍ من السلطان إلى الأمير يعلمه أن ولداً وبنتاً ولدا له حال غيابه. مزَّق هذه الرسالة وكتب بدلاً منها أن كلبين ولدا: «فهل نتخلص منهما أم نبقيهما حتى عودتك؟» هكذا كتب العفريت في الرسالة الزائفة ودسها في الظرف الأصلي. وفي الصباح استيقظ التتاري وأخذ حقيبة رسائله وذهب إلى معسكر الأمير.

حين قرأ الأمير رسالة أبيه، كتب الرد التالي: «أبي وسلطاني، لا تقتل الكلبين الصغيرين بل احتفظ بهما حتى أعود».

أعطيت الرسالة للتتري الذي انطلق في رحلة العودة.

وثانية، قابل العفريت الذي أغراه إلى المقهى وأبقاه حتى صباح اليوم التالي. وفي الليل أخرج الرسالة وكتب غيرها تقول: «أبي وسلطاني، خذ زوجتي وطفليّ وألقهم في هاوية واربط المهر القمر بسلسلة حديدية تزن خمسين طناً».

وفي مساء اليوم التالي، سلم التتاري الرسالة إلى السلطان. عندما أبصرت الأميرة التتاري أسرعت فرحةً إلى الحاكم كي يريها رسالة زوجها. ولما قرأها السلطان دهش ولم يجرؤ أن يريها للأميرة، فأنكر أنه استلم رسالة. ردت المرأة: «لقد رأيت الرسالة بعيني، لعل سوءاً قد حدث له وأنت لا تريد أن تطلعني». عندئذ لمحت الرسالة ووضعت يدها عليها بسرعة وأخذتها. قرأتها وبكت بمرارة. بذل السلطان كلَّ جهده كي يخفف عنها لكنها رفضت أن تبقى في القصر. أخذت طفليها وتركت المدينة وذهبت خارجة إلى العالم الفسيح.

مرت الأيام والأسابيع من دون أن تتناول طعاماً يشبع جوعها أو تجد فراشاً تريح بدنها عليه حتى أدركها الإعياء ولم تعد قادرة على المضي أكثر. صلت لله: «يا الهي! لا تدع طفليَّ يموتان جوعاً!»، يا للدهشة! انبجس الماء من الأرض على الفور وانثال الطحين من السماء. صنعت خبزا وأطعمت طفليها.

علم العفريت بمصير المرأة وهرع في الحال كي يقضي على الطفلين. رأت الأميرة العفريت آتياً، فصاحت في كربها قائلة: «اسرع يا كامر–تاج، وإلا هلكت!» سمع الجواد السحري في البلاد النائية نداء الاستغاثة هذا لكنه كان مكبلاً بخمسين طناً

من الحديد فلم يستطع أن يحطمها ويتفلّت منها. وكلما اقترب العفريت منها، تضاعف كربها. ضمت طفليها إلى حضنها، وأطلقت صرخةً يائسةً أخرى تستغيث بالمهر–القمر. لم يستطع المهر المغلول بسلاسله الثقيلة أن يتخلص من وثاقه فذهبت صرختها أدراج الرياح. صار العفريت الآن قريباً جداً منها، وللمرة الأخيرة زعقت الأم المسكينة بكل ما تبقى لها من قوة. سمعها كامر–تاج وحشد كل قوته، وحطّم السلاسل وظهر أمام الأميرة قائلاً: «لا تخشي شيئاً، يا سيدتي! اغمضي عينيك وتشبثي بعرفي» وفي لمح البصر كانوا على الجانب الآخر من المحيط. وهكذا، سار العفريت جائعاً كما كان.

أخذ المهر القمر الأميرة إلى موطنه. لقد شعر أن ساعته الأخيرة قد دنت، فأخبر سيدته الحبيبة أنه يجب أن يموت. توسلت إليه ألا يتركها وحدها مع طفليها. إنه إن فعل، فمن الذي يحميهم من شرور العفريت. خفّف عنها المهر لقمر قائلاً: «لا تخافي! لن يصيبك أي أذى وأنت هنا. وعندما أموت، اقطعي رأسي وضعيه في الأرض، وابقري بطني، وبعد ذلك استلقي أنتِ وطفليك بداخلها».

تلفَّظ بهذه الكلمات، ولفظ الجواد السحري أنفاسه الأخيرة.

احتزَّت الأمـيرة رأسه وألصقته بالأرض ثم فتحت بطنه واستلقت وطفليها بداخلها. سرعان ما غطوا في النوم. ولما استيقظت رأت أنها صارت في قصرٍ جميل أجمل من كلٍّ من قصر أبيها وقصر زوجها. كانت مستلقية على سرير فخم وما كادت تنهض حتى جاء الخدم بالماء. إحداهن حممتها وأخريات ألبسنها. نام التوأمان في مهدٍ ذهبي، ووقفت المربيات قريباً منهما تغنيان لهما أعذب الأغاني. وفي وقت العشاء وُضِعت أشهى أصناف الطعام في أطباق ذهبية وفضية. كان ذلك أشبه بحلم، لكن الأيام والأسابيع مرت، وصارت الأسابيع أشهراً، والأشهر عاماً، ولم ينته الحلم – إن كان حلماً.

في أثناء ذلـك، انتهت الحـرب، وأسـرع الأمـير عائداً إلى الوطن. ولما لم ير زوجته سأل أبـاه عنها وعن طفليه. دهش السلطان من سؤاله الغريب، فأظهر الرسالة كما أرسل في طلب التتري. استجوب التتاري بدقة فحكى عن مقابلته للعفريت في المناسبتين. تبينا الآن أن العفريت قد غش الرسائل المتبادلة بين السلطان وابنه. لم يعد للأمير سلام ولا هدوء حتى يكتشف أين هي زوجته. وبهذه الإرادة ارتحل هو ووزيره.

ظلاّ يترحلان دون راحة. انقضت ستة أشهر، ومع ذلك واصلا طريقهما في الجبال والوديان دون توقف لالتقاط أنفاسهما. وذات يوم بلغا أسفل جبل حيث تمكنا من مشاهدة قصر مهر القمر. كان الأمير قد بلغ غاية الارهاق. قال لوزيره: «اذهب إلى القصر واطلب منهم كسرة خبز وقليلاً من الماء، حتى نستطيع مواصلة رحلتنا».

عندما وصل الوزير إلى القصر قابله طفلان صغيران، واستدعياه ليستريح. دخل فوجد أرضية الجناح في غاية الروعة لدرجة أنه تحرَّج أن يجلس عليها. لكن الطفلين سحباه إلى الديوان وجعلاه يجلس حتى يؤتى له بالطعام والشراب. سمح الوزير لنفسه أن يقول إن ابنه المرهق ينتظر في الخارج وهو يود أن يأخذ إليه الطعام والشراب. قال الطفلان: «يا أبانا الدرويش، كل أنت أولاً، وبعد ذلك خذ الطعام لابنك».

فأكل الوزير، وشرب القهوة ودخَّن، ولما كان يستعد للعودة إلى الأمير، ذهب الطفلان ليخبرا أمهما عن ضيفهما.

نظرت من النافذة وتعرَّفت على زوجها. أخذت الطعام بيديها ووضعته في أوعية ذهبية وأرسلته بواسطة الوزير. ولما أستلمه الأمير ذهل من ثراء الخدمة. رفع الغطاء عن أحد

الأطباق ووضعه على الأرض فتدحرج راجعاً إلى القصر من ذات نفسه. والشيء ذاته حدث مع الأغطية والأطباق الأخرى، وحين اختفى آخر طبق، قَدِم أحد العبيد يدعو الغريب لشرب القهوة في القصر.

أعطت الأميرة كلاً من طفليها حصاناً خشبياً وأرسلتهما إلى البوابة لاستقبال الضيفين قائلة لهما: «حين يجيء الدرويش وابنه خذاهما إلى جناح كذا وجناح كذا».

ظهر الدرويش وابنه، وحياهما الطفلان وهما على صهوتي جواديهما، ثم اصطحباهما إلى جناحيهما. وثانيةً، أخذت الأميرة أطباق الطعام وقالت للطفلين: «خذا هذه إلى ضيفينا وألحا عليهما أن يأكلا. إن هما قالا إنهما قد أكلا ما يكفي وطلبا منكما أن تأكلا معهما، قولا إنكما أيضاً شبعانان، لكن ربما كان حصاناكما جائعين ثم ضعاهما على الطاولة. لعلهما حينئذٍ يسألانكما كيف لحصانين خشبيين أن يأكلا؟ فإن عليكما أن تجيبا: «وهنا همست في أذنيهما بشيءٍ ما»».

فعل الطفلان كما طلبت منهما أمهما. كان الطعام شهياً جداً لدرجة أن الضيفين حاولا أن يأكلا مرة ثانية، لكنهما سرعان ما شعرا بالشبع، وسألا الطفلين: «ألن تأكلا أنتما أيضاً؟». أجاب

الطفلان: «نحن لن نأكل، لكن، ربما يكون حصانانا جائعين». وسحبا الحصانين ووضعاهما على الطاولة. اعترض الأمير قائلاً: «أيها الطفلان! الأحصنة الخشبية لا تأكل».

أجابا: «هذا ما يبدو أنك تعرفه، لكن من الواضح أنك لا تعرف أن من الممكن لكلبين صغيرين أن يصيرا طلفين بشريين مثلنا».

هبَّ الأمير واقفاً وأطلق صيحة فرح، قبَّل الطفلين وعانقهما. وفي تلك اللحظة دخلت زوجته فتوسل إليها بكل تواضع أن تصفح عنه لكل ما عانته من متاعب. وحكى كلٌّ منهما للآخر كل ما وقع له خلال انفصالهما. كانت بهجتهما طاغية. استعدت الأميرة هي وطفلاها لمصاحبة الأمير عائدين إلى مملكتهما. وبعد أن قطعوا جزءاً من الرحلة، استداروا ليلقوا نظرة وداع على القصر. ياللدهشة! لقد عصفت الريح بالمكان كله كما لو لم يكن ثمة بناء.

كمن العفريت في جانب الطريق، غير أن الأمير أمسك به وقتله، ثم واصلوا رحلتهم إلى البيت دون أن تحدث أي مغامرة أخرى.

بعد ذلك بفترة قصيرة توفي السلطان الشيخ، وصار الأمير سلطان البلاد.

سقطت ثلاث تفاحات من السماء. إحداهما للحكواتي، والثانية للمستمع، والثالثة لي.

طائر الحزن

في الزمن الموغل في القدم، عاش سلطان وكانت له ابنة متعلقة جداً بزوجته لدرجة أنها نادراً ما كانت تفارقها. وذات يوم رأت ابنة السلطان زوجة أبيها غارقة في التفكير، فسألتها: «بمَ تفكرين؟».

ردت: «أنا محزونة».

سألت الأميرة: «وما هو الحزن؟ دعيني أيضاً أنله».

ردت المرأة: «حسناً» وذهبت إلى السوق لتشتري طائر الحزن في قفص. قدمته للفتاة التي فرحت به فرحاً بالغاً حتى إنها كانت تسلي نفسها به ليلاً ونهاراً.

بعد ذلك بفترةٍ من الزمن، ذهبت ابنة السلطان، مصحوبة ببعض عبيدها، لزيارة حديقة الحيوان. أخذت معها طائرها في قفصه وعلقته على فرع شجرة. وفجأة شرع الطائر يتحدث قائلاً: «أطلقي سراحي لبعض الوقت، أيتها السلطانة، كي ألعب مع الطيور الأخرى. وسوف أرجع مرةً ثانية».

أطلقت الأميرة طائرها الجبيب.

وبعد ساعاتٍ، وبينما كانت الأميرة تمشي الهوينى في الحديقة على هواها، عاد الطائر وأمسك بسيدته وطار بها إلى قمة أحد الجبال الشاهقة، قال الطائر: «انظري! هذا هو الحزن. سوف أعدّ لك منه الكثير!».

قال ذلك وطار بعيداً. شعرت الأميرة الآن بالجوع والعطش، وتجولت في الجبل حتى أبصرت راعياً تبادلت معه الثياب حتى تتنكر كرجل لتحمي نفسها. وبعد التجوال الطويل وصلت إلى قرية، ودخلت مقهى وتوسلت صاحبه أن يدعها تعمل معه كمساعدة. ظنها صاحب المقهى فتىً في حاجة إلى العمل فشغّلها عنده، وفي المساء عاد إلى منزله وتركها تعنى بالمقهى.

أغلقت الفتاة المقهى واستلقت لتنام. على أي حال، عند منتصف الليل ظهر طائر الحزن وحطم كل الأكواب والأطباق والنارجيلات في المقهى، وأيقظ الفتاة من نومها، وخاطبها قائلاً: «انظري! هذا هو الحزن؛ وسوف أعدُّ لك منه المزيد!».

قال ذلك وطار بعيداً كما فعل من قبل. قضت الفتاة المسكينة بقية الليل تفكر فيما عساها تقول لسيدها في الصباح. وفي الصباح جاء مالك المقهى، وأبصر الدمار المريع، فضرب عامله بقسوة وطرده من المقهى.

غرقت عيناها بدموع المرارة، ومضت ثانية فجاءت جياد وتوقفت عند دكان أحد الخياطين. ولما كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق للاحتفالات الدينية بالعيد الكبير، كان الخياط مشغولاً في تجهيز طلبات السرايا. فكان في أمس الحاجة إلى من يساعده، فقبل الفتى ليعمل في دكانه. وبعد يوم أو يومين ترك الخياط الدكان لبعض شأنه وترك الفتاة وحيدة في المنزل. وفي المساء أغلقت الدكان وأوت إلى فراشها. وعند منتصف الليل، أقبل الطائر، ومزّق كل القماش إلى مزق صغيرة، ثم أيقظ الفتاة، قائلاً: «انظري! هذا هو الحزن، وسأعدُّ لكِ منه المزيد!».

قال ذلك وطار بعيداً.

في صباح اليوم التالي جاء الخياط ورأى قماشه كله ممزقاً، فنادى مساعده. لم تقل الفتاة شيئاً، فضربها الخياط ضرباً مبرحاً وطردها من دكانه.

بكت بحرقة وهي تسير على غير هدى حتى وصلت إلى صانع شراريب القماش، فشغَّلها عنده. ولما تُرِكت لوحدها ثانية، نامت. وظهر طائر الحزن ومزَّق كل الأهداب، وأيقظها وكرر كلماته المعهودة، وطار بعيداً كما فعل في المرات السابقة.

وعندما عاد سيدها في الصباح وأبصر ما حل بدكانه من عبث، ضربها بقسوةٍ أشد، وطردها. مضت الفتاة في طريقها وقد أثقلها الحزن وسحقها الشقاء. شعرت أن طائر الحزن لن يتركها في سلام، فذهبت إلى جبل ناءٍ وبقيت معتزلة هناك أياماً تعاني قرصات الجوع وشدة العطش، والخوف الدائم من الحيوانات المتوحشة التي تجوب المنطقة. كانت تقضي لياليها بين فروع شجرةٍ مورقة.

وفي أحد الأيام، وبينما كان ابن السلطان يصطاد، لمح الفتاة في الشجرة، فأطلق سهماً عليها حاسباً إيّاها طيراً، لكن السهم وقع على أحد الأغصان. اقترب من الشجرة ليستعيد سهمه، فأبصر ولي العهد أن ما حسبه طيراً يبدو أنه رجل. صاح: «أملاكٌ أنت أم جني؟».

ردت: «لا هذا ولا ذاك! بل أنا مخلوق بشري مثلك تماماً».

عندئذٍ سمح لها الأمير أن تنزل من الشجرة وأخذ معه ما بدا له أنه راعٍ إلى القصر. وفي القصر، بعد أن استحمت الفتاة ارتدت ملابسَ فتاة. ولما رآها الفتى الملكي دهش من جمالها الشبيه بجمال البدر، ووقع على الفور في حبها حباً جمّاً. ومن دون تأخير، طلب من أبيه، السلطان، أن يوافق على تزويجه من الفتاة. أمر السلطان أن يؤتى بالفتاة إليه، ولمّا راح يحدِّق فيها وفي جمالها الرائع، أسرت عذوبتها ولطفها قلبه. وأقيم حفل العرس في الحال، ودامت الاحتقالات أربعين يوماً وأربعين ليلة. وفي الوقت المعلوم ولدت طفلة للأميرين، طفلة يبهجك النظر في جمالها وبدا أنها تعِد بأن تصير عذبةً جميلة كأمها.

وفي ليلة من الليالي، أقبل الطائر عند منتصف الليل، وسرق الطفلة ومسح شفتي الأم بالدم. ثم أيقظ الأميرة وقال: «انظري! هآ أنذا آخذ طفلتك. وسوف أعدّ لك المزيد من الحزن!».

قال هذا وطار بعيداً.

افتقد الأمير طفلته في الصباح، ولاحظ أن شفتي زوجته ملطخة بالدم. أسرع إلى أبيه وحكى له الحادثة المشئومة. قال السلطان: «من الجبل جئت بالمرأة، إنها حقاً ابنة الجبل وهي تأكل اللحم البشري، ولذلك فإني أنصحك أن تطردها».

غير أن الأمير المخلص تشبث بزوجته الشابة ولم يأخذ بنصيحة أبيه.

وبعد فترة ولَدت الفتاة طفلة ثانية، جاء الطائر أيضاً واختطفها في ظروف شبيهة بالظرف السابق. أمر السلطان هذه المرة باعدام الأم، لكنه أمام توسلات ابنه وتضرعاته صفح عنها على مضض.

ومرت الأيام، ثم ولدت المرأة طفلاً. خاف الأمير أن تُعدم زوجته الحبيبة لو أن هذا الطفل اختفى أيضاً. فعزم على أن يظل ساهراً يقظاً في الليل يراقب ويحرس حبيبته.

مهما يكن، فإن الطبيعة تأخذ مجراها، فغلب الأميرَ الإرهاقُ والنعاس ونام. وجاء الطائر وخطف الطفل، ونقع شفتي الأميرة بالدم وطار بعيداً. ولما استيقظت الأم المسكينة واكتشفت خسارتها الرهيبة، انخرطت تبكي بحرقة، ولما نهض الأمير وعرف بأمر الطفل المفقود، وأبصر فم زوجته وأنفها يقطران دماً، أسرع إلى أبيه بالخبر المريع. أدان السلطان فعلة المرأة بغضب جارف وأمر باعدامها. استدعي الجلادون، فقيدوا يديها وراء ظهرها وقادوها إلى منصة الاعدام. غير أنهم أُخِذوا بجمالها الساحر واستولت عليهم الشفقة، فقالوا لها: «إن قلوبنا لا تقوى على قتلك. فاذهبي حيث تشائين، ولكن لا ترجعي إلى هنا مرة ثانية».

لاذت المرأة عاثرة الحظ ثانية بالجبل تفكر في مصيرها المحزن، فإذا بالطائر يظهر من جديد، ويمسكها ويحملها إلى حديقة قصر فخم.

حط الطائر وأنزل حِمله وهزَّ نفسه، ياللدهشة! لقد تحوّل فجأة إلى فتىً وسيم. أخذها من يدها، وقاد المرأة المفطورة القلب إلى أعلى القصر، حيث وقعت عيناها على منظر بديع: ثلاثة أطفال يحوطهم ويرعاهم العديد من الخدم، كان الجميع مشرقين باسمين وهم يقتربون نحوها. لما رأتهم امتلأت عيناها بدموع البهجة وذاب قلبها رقةً وحناناً.

رافق الأميرة الرائعة السعيدة الآن إلى جناحٍ فخم مفروش بالسجاد الباذخ ومؤثث بكل بدائع التحف الشرقية الفارهة، وخاطبها قائلاً: «أيتها السلطانة، مع أنني قد أنزلت بك أصناف الكروب والأحزان، وجرَّدتك من أطفالك الأعزاء وأحضرتك إلى مقصلة الإعدام الرهيب، ومع ذلك احتملت كل ذلك بصبر لا نظير له، ولم تخونيني. ومكافأة لك، بنيت هذا القصر لك، وهآ أنذا أعيد لك فيه الآن أحباءك الإعزاء. انظري إلى أطفالك! وأنا هنا، يا سلطانتي، عبد لك». هرعت الأم طائرةً نحو أطفالها الذين فقدتهم، عانقتهم واحتضنتهم إلى صدرها وأمطرتهم بقبلاتها.

وكم أثّر ذلك بالأمير؟

محزوناً من أجل أطفاله ومن أجل زوجته الحبيبة التي ظنَّ أنها قد أعدمت، استولى عليه الندم وغشيته مشاعر الكآبة، وأخذ يقضي وقته يدخن ويسلي نفسه بالحكايات اللاهية.

وفي أحد الأيام، وبعد أن نفد منه الدخان، طلب الشيخ إذناً من الأمير للذهاب إلى السوق كي يشتري المزيد. وفي طريقه رأى شيئاً لم يسبق له أن رأى مثله من قبل: سرايا فخم بديع. قال في نفسه: «هذا مَعْلَمٌ بديع. إنني أمضي في هذا الشارع كل يوم، ومع هذا لم أر هذا القصر من قبل. متى بُني؟ لابدّ لي من أن أفحصه».

وقد حدث أن كانت السلطانة، صاحبة القصر، وقتها في النافذة، فوقعت عيناها على زوجها. وكان العبد – طائر الحزن سابقاً – إلى جوارها، فاقترح باحترام قائلاً: «ما رأيك، يا سيدتي في أن نلعب خدعةً على راوي حكايات الأمير القديم؟».

قال هذه الكلمات وقذف بوردةٍ سحرية عند قدمي صاحب اللحية البيضاء. التقطها الأخير، واستنشق رائحتها الفاتنة، وقال يحدث نفسه: «إذا كانت وردتكِ هي بهذا الجمال، فكيف بك أنتِ؟»، وبدلاً من العودة إلى البيت، دخل إلى القصر.

صار الأمير في هذه الأثناء قلقاً بشأن غياب العجوز الذي طال، فأرسل خادمه ليبحث عنه. وصل الخادم إلى أمام القصر الذي تُرِك بابه مفتوحاً عن قصد من قبل الخدم، فدخل ينظر هنا وهناك. استقبلته مجموعة من الخادمات وقدنه إلى الطابق العلوي. وهناك أسلمنه إلى العبد الساحر الذي طلب منه أن ينزع عباءته ويسبقه. نُزِع الثوب دون عناء، غير أن الخادم اندهش حين تبين بعد كل جهوده أنه غير قادر على نزع الطربوش. ولذا فإن الساحر أمر أن يُخرَج (لرفضه أن ينزع طربوشه).

لذلك طُرِد الخادم بالقوة. لكن ما إن وصل إلى الخارج - حتى - وهذا أمرٌ لافت - سقط الطربوش عن رأسه من ذات نفسه! وفي طريق عودته إلى البيت سبق المدخن الشيخ. وفي تلك الأثناء صار ولي العهد قلقٌ لعدم عودة خادمه فأرسل أمين خزانته بعده في طلبه. قابل أمين الخزينة الاثنين معاً في الطريق وحاول أن يعرف ما حدث لهما. أجاب المدخن الشيخ بصورةٍ ملغزة: «إذا أُلقيت وردةٌ من ذلك القصر، فاحذر أن تستنشقها، وإلا فإن العاقبة ستقع على رأسك».

تفكّر أمين الخزينة بمسلك صاحبيه الغريب، لكنه لم يأخذ تحذيرهما على محمل الجد ودخل إلى القصر. وفي الداخل طُلِب

منه أن يرتدي عباءةً قبل أن يصعد درجات السلَّم. وبينما هو مستأنفٌ في خلع ثوبه للغرض المطلوب، تبيَّن أن سرواله استعصى على الخلع وظل ملتصقاً بجسمه. وبالتالي فقد طرد خارج القصر دون مراعاة. لكنه لم يكد يضع قدميه في الخارج حتى سقط سرواله تلقائياً!

صار الأمير قلقاً ولم يعد يحتمل ذلك الغياب المحيِّر لخدمه، فخرج هو ليتحقق من الأمر بنفسه، إن كان ذلك ممكناً، ويطلع على ما حدث لهم. وفي طريقه التقاهم الثلاثة فأخذوا ينصحونه بحماسة: «إذا ألقيت أليك وردةٌ من ذلك القصر، فاحذر أن تستنشقها، وعندما تدخل عليك أن تنزع طربوشك عند الباب، وقبل أن تصل إلى هناك، اخلع سروالك وادخل من دونه!».

كان الأمير في غاية الحيرة من تلك النصائح العجيبة، ومع ذلك فقد مضى مباشرة إلى السرايا ودخل من بوابتها مختفياً عن الأنظار. وخلافاً لخدمه، استُقبِل الأمير ببالغ الحفاوة وأسمى آيات الترحاب، ثم قِيد إلى صالة رفيعة.

وهنا، كان تنتظره سيدة ذات جمال صارخ محاطةٌ بثلاثة أطفال جميلين. أعطت السيدة طفلتها الكبرى مقعداً، وأعطت الثانية منشفةً، وأعطت الأصغر صينية؛ وضعت في الصينية

طاسة، وفي الطاسة خوخة، وبجانبها ملعقة. وضعت الطفلة الكبرى المقعد على الأرض، وقدَّمت الثانية المنشفة إلى الأمير، بينما أجلس الأصغر نفسه داخل الطاسة. سأل الأمير الأطفال: «منذ متى صارت العادة أن يؤكل الخوخ بالملعقة؟».

أجاب الأطفال معاً بصوتٍ واحد: «منذ صار البشر يأكلون اللحم البشري».

رنَّ عصب الذاكرة، ولمع الماضي أمام عين عقل الأمير. وهنا ظهر الساحر صائحاً: «أوه، أيها الأمير! انظر إلى السلطانة!»

وهنا سقطوا على بعضهم بعضاً – الأم، والأب والأطفال – يتعانقون ويذرفون دموع الفرح.

وواصل الساحر قائلاً: «يا أميري، أنا عبدك؛ لكنك إن تكرَّمت عليَّ باعطائي حريتي، فإنني سأسرع عائداً إلى والديَّ».

مفعمين بالامتنان للقاء بعضعهم بعضاً واجتماعهم من جديد، أطلقوا حرية الساحر العبد واستعدوا لمهرجان جديد، سعداء بمعرفتهم أنهم لن ينفصلوا عن بعضهم بعضاً بعد الآن.

الحسناء وغصن الرمان المسحور

عاش ذات مرةٍ سلطان انتابه الضجر الشديد في القصر، فقرر أن يقوم برحلةٍ مع وزيره. وقبل رحيله، دعا وزيره وقال له: «لكي يظل رحيلنا مجهولاً، ابحث عن رجل يشبهني وأجلسه على العرش».

فسأل الوزيرُ السلطانَ كيف يمكن لمثل هذا الرجل أن يوجد. قال السلطان: «دعنا نتجوَّل في المدينة لبضعة أيام، وسنجد واحداً».

تنكر السلطان والوزير وخرجا يعملان على تنفيذ غرضهما.

دخلا إلى نُزلٍ لنيل بعض المرطبات وقابلا هناك أحد السكارى يشبه السلطان شبهاً كبيراً. اختليا بصاحب النُّزل جانباً وأخبراه أن يدع ذلك الرجل يشرب حتى يفقد وعيه، وعندما يحل الظلام يقوم برميه إلى الشارع. فعل الرجل ما أمراه، وفي منتصف الليل أرسل السلطان الوزير ليجيء بالرجل سرّاً في سلّةٍ إلى القصر.

وفي القصر، غُسِلَ الرجل وألبس الملابس الملكية ووضع في سرير السلطان الخاص. صار الآن كل شيء جاهزاً لأن ينطلق السلطان ووزيره في رحلتهما.

عندما استيقظ صاحبنا السكير في صباح اليوم التالي أبصر أنه كان في القصر الملكي. سأل نفسه: «ما الذي حدث لي. لعلي أحلم، أو لعلي متُّ وأنا الآن في السماء». بعد هذا التساؤل، صفق بيديه، وعلى الفور أحضر له العبيد حوض الغسيل وإبريقاً من الماء. وبعد أن غسل وشرب القهوه، وأشعل غليونه. حدث نفسه: «لابدّ من أني قد صرت سلطاناً». ولما كان اليوم هو يوم الجمعة، رجاه الخدم أن يكون مسروراً ويقول أين يودُّ أن تقام صلاة الجمعة. في الركن حيث اعتاد أن يقيم، كان يوجد جامع، فقرر أن تعقد الصلاة في ذلك الجامع. فذهب الكل لكي يرتبوا الاستعدادات لإقامة الصلاة هناك.

انقضى اسبوعان منذ أن اختفى السكير عن بيته، ولما سمعت زوجته أن السلطان سيصلي في الجامع القريب، أعدت الشكوى وسلمتها له وهو يخرج من الجامع، وقرأ: «أوه، أيها السلطان! إنَّ لي زوجاً لا يفعل شيئاً سوى الشرب ليلاً ونهاراً وقد انقضى اسبوعان ولم يعد إلى البيت، ولا أرسل لي أي نقود أقيم بها أودي

أنا وأفراد أسرتي، لذا فإننا نكاد نموت جوعاً». أمر السلطان على الفور أن يهدم سكن المرأة ويعاد بناؤه بصورة أفضل، كما قرَّر لها إعاشة شهرية. وقد كان.

كان للسلطان الجديد ثلاثة أعداء: صاحب النُّزل الذي رمى به في الشارع حين كان مخموراً، والجزار الذي ضربه لأنه لم يستطع أن يدفع ثمن اللحم الذي اشتراه دَيناً، وصاحب المطعم الذي لم يعطه أي طعام. أصدر أوامره بقطع رؤوس هؤلاء الثلاثة. وقد كان.

وفي هذه الأثناء، ارتحل السلطان ووزيره مسافة طويلة.

وفي أحد الأيام، وصلا إلى وادٍ، حيث قررا أن يتوقفا ليستريحا. وفي الجدول الذي يجري في الوادي أبصرا تفاحةً فأكلاها. ثم تذكر السلطان أنه أقسم أنه حيثما استقر – حين يخرج – بألا يفعل شيئاً محرَّماً وهو في رحلة. وقد سبب له هذا قلقاً إذ لم يكن أمامه من سبيل ليعرف إن كان مسموحاً أن يأكل التفاحة أم لا.

قال السلطان: «ليس أمامك، سوى أن تذهب إلى المالك وتنال صفحهُ الآن».

وبينما هما سائران في طريقهما صادفا فلاحاً يحرث الأرض.

ألقيا عليه التحية وأخبراه عن التفاحة، ولما فرغا من قصتهما أراهما الفلاح بستاناً فيه أشجار تفاح من إحداهما سقطت التفاحة التي أكلاها. كما أشار لهما إلى البيت الذي يقطنه مالك ذلك البستان، فاتجه السلطان والوزير إلى ذلك المنزل مباشرة. طرقا الباب ففتحته عجوز وأخبراها أيضاً بحكاية التفاحة. قالت المرأة إن بستان التفاح هو ملك لابنتها، وذهبت لتستفسرها حول الأمر. فأرسلت الفتاة رسالةً تقول إن كان الرجل سيتزوجها، فإنها تعفو عنه لأكله التفاحة. فكر السلطان بالأمر ووافق أخيراً أن يتزوج بالفتاة.

لما سمعت العجوز ردّه، قالت: «عليَّ، إذن، أن أخبرك بأن ساقي ابنتي وذراعيها معقوفة، وهي صلعاء الرأس، وهي لذلك بالغة القبح لدرجة أنَّ ما من رجلٍ يحتمل النظر إليها».

ردَّ السلطان: «لا يهم، أنا سأفي بوعدي».

أمر الوزير بأن يعمل على ترتيبات العرس في ذلك اليوم نفسه، لأنهما يريدان أن يغادرا صباح اليوم التالي. وذهبا إلى نزلٍ مجاور ليعدا العدة للزواج.

وحين جيء بالفتاة إليه، ذهل السلطان، وصاح: «سلطانتي!

لقد قالت أمك إنك قبيحة في حين أنك أجمل مخلوق في العالم!».

قالت الفتاة إن أمها اعتادت أن تتكلم عنها بهذه الطريقة.

أقيم حفل العرس، وفي اليوم التالي ذكَّر الوزير السلطانَ بأن عليهما أن يرحلا. أجاب السلطان أنه قد قرر أن يبقى في النزل أربعة أو خمسة أيام أخرى. لكنه في الحقيقة مكث أربعين يوماً، وفي اليوم الواحد والأربعين قال لزوجته: «يا سلطانتي، لا يمكنني البقاء هنا أكثر، لابدّ لي من أن أذهب. إن أنت أنجبت ولداً، اربطي هذه التميمة على ذراعه حين يكبر، ثم ارسليه إلى بلاد كذا وكذا، وأخبريه أن يبحث عن أوجورسوس وهيورسيس». وكان هذان الاسمان هما الاسمان اللذان اتخذها كلٌّ من السلطان والوزير في أثناء ترحُّلهما. امتطيا جواديهما وارتحلا. وبعد وقتٍ قصير قابلا الفلاح، ثم استأذناه بالمغادرة ولم يتوقفا ثانية حتى وصلا إلى الوطن. وبوصولهما إلى القصر، كان أول ما فعلاه هو التخلص من السلطان المزيَّف. في منتصف الليل، وبينما كان نائماً، وضعاه في كيس وتركاه قريباً من النزل الذي منه أخذاه منذ أشهر. وعندما استيقظ الرجل وجد نفسه في الشارع. قال يحدث نفسه: «لابدّ من أنني كنت أحلم». ثم أغمض عينيه مرة ثانية.

صفق بيديه، فجاء صاحب النزل الجديد سائلاً: «من هناك؟».

طلب منه السكير أن يكف عن المزاح وإلا فإنه سيُشنَق على الفور. صاح بصوتٍ عالٍ: «افتح الباب؛ أنا السلطان».

فتح صاحب النزل الباب وما أن رأى السكير حتى ركله بازدراء. صرخ هذا الأخير بصوتٍ أعلى محتدًّاً: «أيها الوغد! أنا السلطان، وسوف أشنقك بالتأكيد لما أقدمت عليه».

وردًّاً على ذلك أخذ مالك النزل عصاً وهجم على السلطان المزيَّف يضربه حتى أوقعه مغميً عليه، وبعدها أُخِذَ إلى مستشفى المجانين.

حينها قال السلطان لوزيره: «أوه، أيها العزيز، لقد أتينا بالرجل إلى القصر، وبعدما حقق غرضنا طردناه. اذهب الآن وانظر ما حدث له».

ذهب الوزير إلى مالك النزل وعلم أن السكير قد جنّ وأخذ إلى مستشفى المجانين. وذهب الوزير إلى هناك وسمع الرجل يصيح باستمرار أنه هو السلطان، وأنه قد ضرب حتى أوشك على الموت. قال له الوزير إن عليه ألا يقول إنه السلطان وإلا فسيلقى ما هو أسوأ مما لقيه. بعد أن تحقق الرجل من ذلك، ذهب إلى المسؤول عن الدار وقال له: «سيدي، أنا مجرد سكير ولست السلطان».

بعد هذا الاعتراف أطلق سراحه، ولم يعد يعتبر مجنوناً بعدها.

وكان أول ما خطر بباله حينئذٍ هو أن يذهب إلى بيته، لكن زوجته ما أن رأته حتى صاحت: «اغرب عن وجهي، أيها الفاسد. أين كنت طوال هذا الوقت؟ لا شك أنك قد علمت بأن السلطان بنى لي منزلاً وخصص لي إعاشة فأقبلت تشاركني».

لم تسمح له المرأة بالدخول، لكن الوزير مرَّ مصادفة وسمع المشاجرة، فذهب إليها وقال: «دعي زوجك يدخل وإلا أُخِذ كل شيء منك».

تعرَّفت على الوزير، فخذلتها شجاعتها وسمحت لزوجها بالدخول إلى البيت. فلندع هذين الزوجين في سلام، ولنعد إلى صاحبة بستان التفاح. فقد ولد لها بعد مدة ابن ولما شبَّ، تذكرت توجيهات السلطان، فدعت ابنها وقالت له: «لقد ترك لك أبوك هذه التميمة، وقال إن عليك حين تكبر أن تذهب إلى بلاده وتسأل عن أجورسوس وهيورسيس».

أخذ الولد التميمة واستعد للرحلة.

قابل في طريقه الفلاح فاستراح عنده قليلاً. وأثناء حديثهما أخبره الفلاح أن أجورسوس كان صديقه، ونصحه ألا يذهب

بمفرده. وافق الفتى أن يصطحب معه ابن الفلاح وارتحلا معاً. وذات يومٍ وصلا إلى بئر وكان العطش قد نال منهما. قال ابن الفلاح: «سوف أدعك تنزل إلى البئر قبلي لتشرب وبعد ذلك ستنزلني أنت».

أُنزل ولي العهد إلى البئر بمساعدة ابن الفلاح، لكنه بعد أن أطفأ ظمأه وكان على وشك أن يصعد، ناداه ابن الفلاح قائلاً: «اقسم أنك ستقول إنني ابن اجورسوس وإنك ابن الفلاح، ثم عدني أيضاً أنك لن تكشف الحقيقة، وإلا بقيت حيث أنت».

ولما كان بلا معين، أقسم ولي العهد كما طُلب منه ثم سُحِب إلى أعلى البئر.

سارا في طريقهما ووصلا بعد أسابيع إلى عاصمة مملكة السلطان. تجولا في المدينة سائلين عن أجورسوس وهيورسيس، ولما وصل خبرهما إلى السلطان أمر باحضارهما إليه. أُخِذا إلى القصر ولما سأل السلطان عن أيهما ابنه أشار ولي العهد إلى الولد الآخر وسمى نفسه باسم ابن الفلاح. فأُخذ الأول إلى القصر كأمير وأُعطي الأخير وظيفة في البلاط.

وذات مرةٍ أبصر الأمير المزيَّف في الحلم درويشاً يقدِّم له

الأميرة الحسناء ويناوله كأساً ليشرب أسماه كأس الحب. ومنذ ذلك الحين صار رجلاً آخر. لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يستريح. لم يعد شيءٌ يرضيه، فصار شاحباً ضعيفاً. ولم يفهم الأطباء والحكماء شيئاً عن مرضه حتى يصفوا له علاجاً.

وذات يوم، قال الأمير المزيف للسلطان: «أبي، الأطباء والحكماء لن يستطيعوا مساعدتي. إن حبي للأميرة الحسناء هو علتي».

انزعج السلطان من كلمات الشاب الغريبة وخاف من مبرره. قال: «عليك ألا تفكر بها، إن هذا خطر؛ حبها لن يجلب سوى الموت».

إلاّ أن الشاب ظل ينحف ويذوي وما عاد يجد متعةً في حياته. وكان السلطان يسأله باستمرار إن كان يرغب في أي شيء، فيجيبه بالإجابة ذاتها دون تغيير: «الأميرة الحسناء». شعر الملك أن ابنه سيموت حتماً إن هو رفض أن يسمح له بالرحيل، وأنه بهذا سيكون سبب موته. ولما أوشك أن يوافق على رحيل ابنه مطمئناً أن الله الرحيم سيرأف به، قال له الأمير المزيف: «إني لا أرغب أنا نفسي بالذهاب، دعنا نرسل ابن الفلاح ليجلب الفتاة لي».

وفي الحال أرسل السلطان في طلب ابن الفلاح، وكلفه بالذهاب للبحث عن الأميرة الحسناء وإحضارها إلى الوطن لتصير زوجة لولي العهد.

غادر الفتى في اليوم التالي صاعداً جبلاً وهابطا وادياً، وقاطعاً السهول والوهاد بحثاً عن الأميرة الحسناء. ووصل بعد مدة إلى شاطئ البحر حيث رأى سمكة صغيرة تتخبط في الرمل. توسلت إليه تلك المخلوقة أن يعيدها إلى الماء ففعل، لكن السمكة قدّمت له قبل ذلك ثلاثاً من فقراتها قائلةً له: «حين تقع في ورطةٍ أحرق واحدةً من هذه الفقرات».

قبل هبتها بامتنان ورمى السمكة إلى البحر ومضى في طريقه.

ولما وصل إلى سهل فسيح أبصر نملةً توسلت إليه أن يساعدها لأنها كانت في طريقها إلى حفلة عرس وكانت تخشى أن تتأخر كثيراً على اللحاق برفيقاتها. أخذ الفتى النملة وحملها إلى رفيقاتها. وقبل أن تستأذن مساعدها في الذهاب، قدّمت له النملة قطعة من جناحها قائلة: «حين تقع في ورطة أحرق هذه القطعة من جناحي».

مرهقاً، مثبط الهمة، وصل ابن الفلاح المحترم إلى غابة كثيفة حيث أبصر عصفورة صغيرة تتعارك مع أفعى ضخمة. طلبت العصفورة من الفتى نجدتها، فبادر بضرب الأفعى بسيفه وقطعها نصفين. وردّاً على فعله أعطته العصفورة ثلاثاً من ريشها قائلة: «حين تقع في ورطة أحرق واحدة من هذه الريشات».

وواصل رحلته عبر الجبال والبحار حتى وصل إلى مدينة كبيرة. كان الآن في مملكة أبِ الأميرة الحسناء. ذهب مباشرة إلى القصر، وسأل السلطان بالله أن يعطيه ابنته. قال له السلطان: «عليك أولا أن تحقق ثلاث مهمات، وبعدئذٍ يمكنك أن تتحدث إلى ابنتي».

ثم أخذ الحاكم خاتماً ورماه إلى البحر وطلب من الأمير أن يستعيده خلال ثلاثة أيامٍ، ما لم فإن حياته مصادرة».

فكر الأمير بعمق، واتذكّر الفقرات الثلاث، فأحرق واحدة منها. وعلى الفور ظهرت السمكة وقالت: «ما هو مطلبك، يا سلطاني؟».

ردَّ الأمير: «خاتم الأميرة الحسناء سقط في البحر. أعيديه إليّ».

غاصت السمكة تبحث عن الخاتم، لكنها لم تستطع العثور

عليه، وغاصت ثانية أعمق من ذي قبل ولم تفلح؛ ثم غاصت مرةً ثالثة أعمق فأعمق حتى وصلت قاع البحر السابع وجاءت معها بسمكة. بقر الأمير بطن السمكة ووجد الخاتم بداخلها. أعاده إلى السلطان، فأعطاه الأخير لابنته. وبجوار القصر كان يوجد كهفٌ مُلِئ رماداً ودخناً. قال السلطان للفتى: «مهمتك الثانية هي أن تفصِل الرماد عن الدخن».

ذهب الأمير إلى الكهف وأحرق جناح النملة، فأقبل كل النمل في العالم وانهمك في العمل. انتهت المهمة في ذلك اليوم ذاته. وفي المساء جاء السلطان إلى الكهف ليتأكد بنفسه من أن حبة دخنٍ واحدة لم تنس.

قال السلطان: «بقيت مهمةٌ واحدة، وبعدها سآخذك لرؤية ابنتي»، ثم دعا إليه عبدةً وشقَّ رأسها نصفين وقال للفتى: «هكذا سيُفعل برأسك إن لم تستطع أن تعيد هذه المرأة إلى الحياة».

غادر الفتى القصر يفكر إن كان ريش العصفورة سيساعده. أحرق واحدةً منها وفي الحال ظهرت العصفورة وانتظرت أوامره. حكى لها الأمير بقلب مثقل ما هو فيه من ورطة. ولأن الطير يتبع الآن عالم المخلوقات السحرية، فقد طارت العصفورة في الهواء وغابت عن الأنظار ثم عادت سريعاً بوعاء به ماء قائلة:

«هاك قليلاً من الماء الذي سيعيد للميتة حياتها».

أخذ الماء إلى القصر ورش بعضه على الجثة فنهضت الفتاة في الحال كما لو أنها استيقظت من النوم.

أُخبرت الأميرة الحسناء بمآثر الفتى فأعدت نفسها لاستقباله. كانت تسكن في قصر صغير من الرخام وكان أمام القصر مرصد تتصبب إليه المياه من أربع جهات. وفي الفناء حديقة غنَّاء مليئة بالأشجار الكثيفة والأزهار والطيور المغردة. عندما أبصر الأمير ذلك كله بدا له كأنه يقف على باب الفردوس. وفجأة فتح باب القصر فانساب الضوء البراق الذي أغشى عيني الأمير. ظهرت الأميرة الآن بكل جمالها الفتان. اقتربت من الأمير لتخاطبه، غير أنها ما أن أبصرته حتى شعرت بالدوار. حملت إلى القصر ولحق بها الفتى، ولما استعادت وعيها، قالت: «أوه، أيها الأمير، أنت ابن الملك سليمان، وباستطاعتك أن تساعدني. في حديقة العفريت (رِه) غصن رمّان يغني؛ إن أنت أتيت به إليّ فأنا لك إلى الأبد!»

ارتحل الفتى مسافات شاسعة ليحقق للأُميرة مطلبها. قضى شهراً كاملاً يتجوّل في الجبال والوديان. دعا الله قائلاً: «اللهم، يا خالق كل شيء، أرني طريق الصواب». وأخيراً وصل إلى أسفل

جبل. سمع ضجةً مريعةً كأن يوم القيامة قد حل؛ اهتزت الصخور والجبال، وسقطت قطع من الظلام. حين ذهب الفتى بشجاعة صوب تلك الضجة، ارتفعت وصارت أشد رعباً، ولفته زوبعة غبار ودخان. لم يستطع أن يعرف إن كان على الطريق الصحيح، لكنه عرف أن رحلة ستة أشهر ستوصله إلى حديقة العفريت «رِه» وأن الضجة المريعة قد سببتها تعاويذ العفريت.

واصل تقدُّمه فتبدَّت الحديقة للأنظار. كانت الأبواب تعاويذ زاعقة وكذا الحارس. ذهب إليه الأمير وأخبره بمراده. سأله الحارس باندهاش: «لماذا لم تخف من الضجة المريعة؟ لقد استُنهِضت كل التعاويذ بسببك؛ وقد أفزعتني أنا، حتى».

سأل الأمير عن غصن الرمان. قال الحارس بوقار وجدية: «إن من العسير أن تحصل عليه، لكن، إن كنت غير خائف فلربما تنجح. في نهاية رحلة ثلاثة أشهر، ستصل إلى مكان آخر شبيهٍ بهذا له تعاويذ أخرى، وهناك ستجد حديقة أخرى حارستها هي أمي. لكن لا تقترب منها، انتظر حتى تأتي إليك. بلغّها تحياتي، لكن لا تخبرها بما جئت من أجله حتى تسألك هي».

واصل الفتى الآن رحلته في الطريق الذي أرشده إليه الحارس، وبعد السفر لمدة ثلاثة أشهر سمع صوتاً يثير الرهبة والرعب

ويستعصي على الوصف. هنا كانت حديقة العفريت «رِه» الواسعة، وكانت الضجة صادرةً عن تعاويذه.

أخفى الفتى نفسه خلف صخرة، ورأى الآن صورة إنسان اتضح فيما بعد أنها عجوز في التسعين من العمر. كان شعرها أشبه ببياض الثلج، ورموشها حمراء وحاجباها أشبه بسهمين، وكانت عيناها تومضان ناراً، وأظافرها تمتد ياردتين طولاً، وكانت تستنشق الهواء وهي متكئة على عصاها، تعطس مع كل خطوة صاكّةً ركبتيها أحدهما بالأخرى. كانت هذه هي حارسة الحديقة الواسعة.

جاءت إلى الفتى وودَّت أن تعرف ما الذي كان يفعله هناك. بلَّغها الأمير تحيات ابنها. قالت آزّةً صافرةً وهي تتحدث: «الابن الذي لا يحسن شيئاً! أنت، إذن، قد التقيت به؟ هل يظن ابني البائس أنني سأرأف بك فأرسلك إليَّ؟ لسوف أريك في الحال نهاية مصيرك».

لم يدر الأمير ما حدث، ما استطاع أن يراه هو أنه كان على ظهر شيءٍ ما لم يكن له عينان ولا أذنان، وكان متغضناً أشبه بضفدع. كان ذلك المخلوق ينسل هارباً من المكان قافزاً قفزات طويلة مريعة ناطاً فوق البحار بوثبةٍ واحدة. وفجأةً، هدأ هذا

الشيء الغريب واستقرَّ قائلاً: «أيّاً كان ما تسمعه، وما تراه، فلا تتفوّه بكلمة واحدة، وإلا فقدت حياتك».

وفي ثانية واحدة اختفى.

وكما في الحلم، أبصر الأمير الآن حديقة مترامية الأطراف بها جداولُ تترقرق وشلالاتٌ تتدفق، وأشجارٌ وأزهارٌ وثمارٌ لا يمكن أن يرى المرء مثلها في أي مكان من العالم. كانت العصافير تصدح وتسقسق في كل ركن، وكان الجو كله أغنيةً واحدة. ألقى الفتى نظرةً فيما حوله ثم دخل إلى الحديقة وسمع صوتاً فاجعاً يفطر القلب أشبه بالنحيب. تذكَّر غصن الرمان فبدأ يبحث عنه. وفي وسط الحديقة كان ثمة مشتلٌ صغير، وفيه تتدلى مثل مصابيح عددٌ من ثمار الرمان. قطف غصناً، وعلى الفور سُمعت صرخةٌ رهيبة: «مخلوق بشريٌّ يقضي على حياتنا! مخلوقٌ بشريٌّ يقتلنا!».

فرَّ الأمير ، وقد أسره الخوف، من الحديقة.

وصاح خلفه ذلك الشيء الذي لا اسم له وينتظر في البوابة: «بسرعة! اجر!».

قفز الفتى إلى ظهره وبوثبةٍ واحدة صار على الجانب الآخر من البحر. والآن، وللمرة الأولى أخذ الفتى ينظر إلى غصن الرمان.

وجد أن فيه خمسين رمانة تغني كلٌّ واحدةٍ منها أغنيةً مختلفة كما لو أن كل موسيقى العالم قد جمعت فيها. قابل هنا المرأة العجوز ذات التسعين عاماً. قالت له: «احرص حرصاً شديداً على غصن الرمان. لا تدعه يغيب عن عينيك. إن استطعت أن تصغي إليه طوال يوم عرسك فإن الرمانات ستحبك، لا تخش شيئاً لأنها ستحميك في أي كرب».

استأذنها الأمير بالمغادرة وذهب إلى ابنها الذي حثَّه على مراعاة نصيحة العجوز بكل حرص. بعدئذٍ راح الفتى يطوي طريقه ما وسعه صوب الفتاة الحسناء.

انتظرته الفتاة بشوقٍ بالغ، لأنها أحبت الأمير بكل شغف لدرجة أن أيامها امتلأت بالمخاوف عليه خشية أن يصيبه أي سوء. وفجأةً تعالى صوت الموسيقى، وسُمِعت الألحان المختلفة من خمسين رمانة. هرعت الفتاة لتستقبل الأمير، فأنشد غصن الرمان أنشودة قلبين اتحدا برباط وثيق حتى بدا وكأنهما رُفِعا عن هذه الأرض إلى جنَّةِ الله. دام عرسهما أربعين يوماً وأربعين ليلة، واستمعا طوال الوقت لغناء الرمان. ولما انتهت احتفالات العرس قال الأمير: «مثلك، أنا لي أب وأم. وقد احتفلنا بزفافنا هنا، وسنذهب الآن إلى أبوي ونحتفل به هناك أيضاً». وهكذا

انطلقا في رحلتهما في اليوم التالي.

عندما وصلا في نهاية رحلتهما إلى الوطن، ذهب الفتى إلى السلطان وأخبره أنه نجح في إحضار الأميرة الحسناء معه. امتدحه السلطان لشجاعته ومهارته، وأعطاه هدية ثمينة، وأمر بالبدء بالاستعدادات لحفل زواج الأميرة إلى ولي العهد المزيَّف. ولما رأت الفتاة أن المراد لها أن تتزوج إلى الأمير المزيَّف، ضربته بوجهه، فجرى إلى السلطان شاكياً، شك السلطان أن في الأمر سرًّا خفيّاً هو أعمق مما يظهر على السطح، فذهب إلى الفتاة ورجاها أن تشرح له سبب مسلكها.

ناشدت الأميرة السلطان ألا يسمح بالزواج أن يتم حتى يعدم ابن الفلاح. فأمر السلطان أن يؤتى بالفتى إليه فجيء به وقُطِعَ رأسه أمامه. وفي الحال، أخذت الأميرة ماء الفردوس ورشته على جسده فنهض حياً من جديد.

قالت الأميرة: «والآن، لقد مت، وبعثت حيّاً مرةً ثانية. وبذلك تخلّصت من عهدك الذي قطعته».

وهكذا، أخذ الفتى يحكي كيف أنه، بعد أن ترك أمه، قابل ابن الفلاح. وتحدَّث عن حادثة البئر، وعن كل شيءٍ اتصل

بالمخاطر التي تعرَّض لها أثناء بحثه عن الأميرة. كما أنه كشف عن هويته بإخراج التميمة التي استلمها من أمه.

ولما اقتنع السلطان أن ابنه الحقيقي هو هذا الفتى، هبَّ يعانقه ويقبله مراراً. أعدم ذلك المغرور، وأحضرت أم الأمير إلى القصر لحضور زفاف ابنها إلى الأميرة الحسناء.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA



